

## الفصل الأول

### دراسة القبائل العربية وشهران العريضة الخثعمية في النظام العربي القبلي

مدخل :

نظرًا لما ذكرنا؛ فقد آثرنا أن نُقدِّمَ على دراسةٍ تاريخيةٍ عن (قبيلة شَهْران العريضة الخثعمية في ماضيها وحاضرها)، والتي تفرعت منها عدة قبائل في وقتنا الحاضر، وقد رتبُتُ الدراسة في هذا الفصل إلى ستة مباحث :

**المبحث الأول:** تعريف القبيلة ومكوناتها، والنظام القبلي وأهميته في

حياة العرب قبل الإسلام.

**أما المبحث الثاني:** فقد تناولت فيه (موقف الإسلام من النظام القبلي) .

**أما المبحث الثالث:** فقد خصصته لدراسة (الأنساب والقبائل العربية).

**أما المبحث الرابع:** فقد خصصته لقبيلة (شهران الخثعمية) من حيث التسمية والنسب، ومن الذي سُمِّي شهران؟ ثم عرجنا على تسمية شهران العريضة وتحديد ظهور هذه التسمية تاريخيًا على وجه التقريب من خلال النصوص التاريخية التي وردت في هذا الجانب .

**وناقشت في المبحث الخامس:** حروب قبيلة شهران العريضة

الخثعمية مع الأحباش وعلاقتها مع قبائل اليمن .

**في حين تناولت في المبحث السادس والأخير من هذا الفصل :**

ديانة قبيلة شهران العريضة الخثعمية قبل الإسلام .

المبحث الأول: تعريف القبيلة ومكوناتها والنظام القبلي في حياة العرب

قبل الإسلام :

(أ) معنى القبيلة:

جاء في معاجم اللغة تحت مادة (قبل): قَبْلٌ: نقيض بَعْدُ، والقَبْلُ والقَبْلُ: نقيض الدُّبُر، أي: الوَجْه. وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز حاكياً

يوسف عليه السلام " قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ

قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ

دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ [يوسف: ٢٦ - ٢٧] فالقَبْلُ هو الوجه والأمام والدُّبُر هو الخلف والعَقَب.

والقبيلة: واحدة قبائل الرأس، وهُنَّ أربَع قطع مشعوبٍ بعضها إلى بعض، واحدها: قبيلة، وبها سميت قبائل العرب. والقبيلة من الناس: بنو أبٍ واحدٍ، وإن قبائل العرب أُخِذَتْ من قبائل الرأس لاجتماعها، وجماعتها الشَّعْبُ والقبائل دونها. وعن ابن الكلبي: الشَّعْبُ أكبر من القبيلة، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، قال الزجاج: القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام، كالسَّبَط من ولد إسحاق عليه السلام؛ سُمُّوا بذلك لِيُفْرَقَ بينهما<sup>(١)</sup>.

والقَبِيلُ: الجماعةُ من الناس تكون من الثلاثة فصاعداً ومن قومٍ شتى كالزنج والروم والعَرَب، والجمع: (قُبُل). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ

(١) الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: مجموعة من العلماء . القاهرة - المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، مادة (قبل). وابن منظور، محمد بن مكرم الأفيقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، مادة (قبل).

وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ  
أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ [الأنعام: ١١١].

قال الأخفش: أي قبلاً، وقد تكون من نوع واحد، وربما كان القبيل من  
أبٍ واحدٍ كالقبيلة<sup>(١)</sup>، والقبيل: هو الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ  
مِنْ حَيْثُ لَا نُرَوِّهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] والقبيل: مأخوذ من كلمة قبيلة.

١- وما سبق نصل إلى أن القبيلة هي: "جماعة من الناس ينتمون أو  
يعتقدون أنهم ينتمون إلى رجل واحد وإلى أصل واحدٍ مشتركٍ تجمعهم  
وحدة الجماعة، وتربطهم رابطة العصبية، ورابطة الدم"<sup>(٢)</sup> قال الحافظ  
أبو بكر البزار في مسنده، بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله "  
ولد لنوح: سام، وحام، و يافث، فولد لسام العرب، وفارس،  
والروم، والخير فيهم، وولد ليافث: يأجوج ومأجوج، والترك  
والسقالبة، ولا خير فيهم، وولد لحام: القبط، والبربر، والسودان"  
ابن كثير البداية والنهاية (١/١٣٨).

والقبيلة إنما سميت بهذا الاسم لتقابل الأنساب فيها، وجمع القبيلة: قبائل.  
وربما سُميت القبائل: جماجم أيضاً؛ إذ قيل: إن جماجم العرب هي القبائل التي  
تجمع البطون<sup>(٣)</sup>.

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت ١٧٥هـ) كتاب العين، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، مادة (قبل) (قبل). وابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، (ت ٣٩٥هـ) مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، بيروت، ١٩٨٦م، مادة (قبل). وابن منظور، لسان العرب، مادة (قبل). والفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، بيروت، (بدون تاريخ) مادة (قبل). والزبيدي، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، مصر، ١٣٠٦هـ، مادة (قبل).

(٢) السيد، سالم عبد العزيز، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، (بدون تاريخ)، ص ٤١١.  
(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت ٨٠٨هـ)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٠.

وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك عند حديثه عن العصبية لدى القبائل، فقال: "... إلا إذا كانوا عصبيةً وأهل نسبٍ واحدٍ ... إذ نعره كل أحدٍ على نسبه وعصبيته أهم" (١)؛ وعليه فإن الرابط الذي يربط أبناء القبيلة هو النسب إلى جدّ أعلى، ثم يرتقي هذا الرابط بين الأجداد إلى جدّ أعلى، وهكذا يكون الرابط الأعلى إلى الجدين للعرب هما: قحطان وعدنان (٢). ومعلوم أن عدنان يعود نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ونسله من زوجته الجرمية القحطانية اليمانية . وسلالة القبائل أولها ما كان متصلاً بنسب النبي ﷺ ويقال لهم الأشراف ثم السادة ثم الأحرار ثم ما تبقى من عامة البشر كلاً بما منحه الله به من رزق ومكانة ومهنة .

ومعلوم أيضاً أنّ المجتمعات البشرية القديمة كانت كلها مجتمعات قبليّة؛ فقد كانت القبيلة هي النواة الأولى لهذه المجتمعات، وتمثل المرحلة الأولى من مراحل التنظيم الاجتماعي (٣) الكبير .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد القول بأن السلالة والنظام القبلي؛ هو نظام إلهي أرادهُ الله للبشر حيث قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] فمن الارتباط الزوجي بين الذكر والأنثى تتكون الأسرة، وعن طريق الإنجاب تتكون العائلة التي ترتبط بالأب، وهكذا يتكون الأجداد، ومن مجموع العوائل والعشائر الذين يرتبطون بالأب أو الجد الأعلى تتكون القبيلة، ومن مجموع القبائل تتكون الشعوب .

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت ٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٤٢٤ .

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٦م، ج ٤، ص ٣١٣ .

(٣) النص، إحسان، القبائل العربية أنسابها وأعلامها، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٧ .

ففي الآية القرآنية تقديمٌ للشعوب على القبائل<sup>(١)</sup>، لكثرة الأفراد والقبائل والعشائر في الشعوب، كما أن الشعوب خليط من الأجناس والقبائل والأفراد. وقد كانت القبيلة -ولا زالت- عماد الحياة في شبه جزيرة العرب، سواء أكانت تعيش في البوادي أم تسكن الحواضر، أو الجبال، أو القرى، أو الهجر، أو السواحل، وإنها تشكل الوحدة السياسية المهمة عند العرب. كما أنها هي الحكومة والقوة التي يفهمها العربي، وبذلك فإنها تؤلف وحدةً سياسيةً واجتماعيةً واقتصاديةً مستقلة بذاتها، إلا أنها لا تعيش منفصلة عن بقية القبائل أو معزولة عنها، بل إنها على صلةٍ بما يجاورها من قبائل، سواء كان ذلك عن طريق التحالفات أو المصاهرات أو العلاقات التجارية والاقتصادية، فضلاً عن الروابط الدينية<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد أن العناصر الأساسية لمكونات القبيلة؛ هي الأسر التي ذكرنا أنها تلتقي فيما بينها برابطة النسب إلى الجد الأعلى الذي تسمت به، وأن عدد هذه الأسر يختلف بين قبيلة وأخرى، إذ إن حجم القبيلة يتوقف على مدى قدرة منازلها من حيث مواردها الاقتصادية على الاستيعاب، فكلما كانت هذه المنازل ذات موارد اقتصادية عالية، كلما كان حجم القبيلة كبيراً، والعكس صحيح. فإذا زاد عدد أبناء القبيلة الواحدة عن طاقة عطاء المنازل الاقتصادية وقدرتها على الاستيعاب - أذى ذلك إلى انشطار القبيلة من خلال هجرة بعض أبنائها للبحث عن منازل جديدة، وبذلك ينقص عدد أبناء القبيلة الأصلية في حين يزداد عدد أبناء قبيلة أخرى هي تلك التي تستقبل هؤلاء

---

(١) علي، جواد، مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٠. والنص، إحسان، مرجع سابق، ص ١٨.

(٢) النص، إحسان، مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

النازحين فيدخلون معها في جوارٍ أو حلفٍ<sup>(١)</sup>؛ لذلك فإن أيًا من القبائل تتكون من ثلاثة عناصر أساسية، هي: الصليبية، الحلفاء، العبيد.

## ب ( مكونات القبيلة

### ١- الصليبية:

ورد في اللغة في مادة (صلب): الصُّلْبُ والصَّيْبُ: الشديءُ، والصُّلْبُ: عظم من لدن الكاهل، وعَظْمٌ ذُو فَقَارٍ. والصُّلْبُ: الظَّهْرُ، والصُّلْبُ: كل شيء من الظهر فيه فقار، وفي كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن فيه الفرائض والسنن والديات وبعث به مع عمرو بن حزم فقرأ على أهل اليمن، ونَصَّه: (من محمد النبي ﷺ إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رُعين ومعاقر وهمدان: أما بعد....

وأن في النفس الدية مائة من الإبل، وفي الأنف إذا أُوعِبَ جَدْعُهُ الدية، وفي اللسان الدية، وفي الشفتين الدية، وفي البيضتين الدية، وفي الذكر الدية، وفي الصلب الدية، وفي العينين الدية، وفي الرَّجُلِ الواحدة نصف الدية...<sup>(٢)</sup>، والأَصْلَابُ: جمع صُلْبٍ وهو الظهر، وقال العباس ابن عبد المطلب يمدح النبي ﷺ: **تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقٌ<sup>(٣)</sup>**

وكل هذا يَعْنِي أن الصَّليبية هم الذين تناسلوا من صُلْبِ رجلٍ واحد، أي: من ظهره. وقد قال الله (عز وجل) في كتابه العزيز في المحرمات من النساء

(١) النص، مرجع سابق، ص ١٨. وانظر، علي، جواد، مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٢ وكذلك ج ٤، ص ٣١٣ و ص ٣٢٠.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، بیروت، دار المعرفة، ج ١، ص ٣٩٥-٣٩٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلب). والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (صلب). والزبيدي، تاج العروس، مادة (صلب).

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ  
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ  
وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ أَلَّتِي فِي  
حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ  
بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ  
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣].

أي: الذين تناسلوا من ظهوركم. وبذلك فإن اسم الصليبة يُطلق على  
الضُرْحَاءِ فِي النَسَبِ، ويشكلون العمود الرئيس للقبيلة، وهم يرون أنفسهم  
متساوين في المكانة والشرف والحقوق والواجبات، إلا أن واقع الحال يفرض  
على هؤلاء الأفراد التمايز فيما بينهم بسبب تفاوت المؤهلات والقدرات  
الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية .

وكان من أهم الواجبات على الفرد في القبيلة أن يتضامن مع أفرادها  
كمجموع في كل الظروف والأحوال، وأن يضع مصلحة القبيلة فوق المصلحة  
الشخصية حتى وإن ظهر له أن قبيلته على خطأ<sup>(١)</sup>، وقد عبّر عن ذلك فارس  
هوازن وشاعرها دريد بن الصمة، حيث قال:

أَمَرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعِجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ  
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى عَوَايَتِهِمْ وَأَنْنِي غَيْرَ مَهْتَدٍ

(١) سالم، السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٤٣٥.

وهل أنا إلا من غَزِيَّةٍ إِنَّ غَوْتَ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشُدْ غَزِيَّةُ أَرشُدِ<sup>(١)</sup>

إلا أن هذا الالتزام الذي يلتزمه الفرد تجاه قبيلته يقابله التزام آخر من القبيلة تجاه كل فرد من أفرادها وأبنائها؛ بناءً على رابطة العصبية. لذلك فإن دعوة الرجل لقبيلته لنصرته مبنية على العصبية القبلية، وهي التُّصَرَّةُ والمنعة لذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيِّمٌ أو تصيِّبهم هلكة<sup>(٢)</sup>، وقد عبَّر عن ذلك الشاعر قريظ بن أنيف حين قال:

قومٌ إذا الشَّرُّ أبدى نأجِدِيه لهم طاروا إليه زَرَاقَاتٍ ووحدانًا

لا يسألون أحاهم حين يندبهم في النَّائِبَاتِ على ما قال بُرْهَانَا<sup>(٣)</sup>

وقد صار شعار العرب (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)<sup>(٤)</sup>.

هذا فضلاً عن حق الفرد في أن تعينه القبيلة على الأخذ بثأره إذا تعدَّ ذلك عليه بمفرده، وذلك عندما يرفض أخذ دِيَّةِ القَتِيلِ. وقد أشار إلى ذلك مُرَّةً بن عداد الفقمي عندما قال:

(١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق إحسان عباس وزملائه، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ط ١، ج ١٠، ص ٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عصب).

(٣) علي، جواد، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٩٣.

(٤) العسكري، أبو هلال، قول العرب في جمهرة الأمثال، ٨٥/١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطاش، دار الفكر، ١٩٨٨م؛ البكري: أبي عبيد، فصل المقال في شرح الأمثال، تحقيق إحسان عباس، ٢١٦/١، د. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ورد هذا القول في الحديث الشريف برواية أنس رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: ( أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قلنا: يا رسول الله: نصرته مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: تكفه عن الظلم فذاك نصرك إياه )، وروى عن عائشة رضي الله عنها. انظر: الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى ابن سورة (ت ٢٧٩ هـ)، ٣١٥-الجامع الصحيح - سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ت. د. ط، رقم (٥٢٣/٤).



فلا تأخذوا عقلاً من القوم إنني أرى العار يبقى والمعاقلة تذهب<sup>(١)</sup>

## ٢- الحلفاء:

هم من أبناء القبائل العربية الذين يدخلون في القبيلة عن طريق الحلف والجوار، ويكونون أفراداً وجماعات وهم من غير نسب أبناء القبيلة، يتمتعون بكافة حقوق أبناء القبيلة الصرحاء باستثناء زعامة القبيلة ودفع الدية؛ إذ كانت دية الحليف نصف دية الصريح<sup>(٢)</sup>. ويقال لهم حالياً الغرامة أو غرامة الزرية ومن رحل من قبيلة وغارم أو دخل في قبيلة أخرى فله ما لهم وعليه ما عليهم ، وإما أن يكون مفروض عليهم فهذا عن طريق الدولة الحاكمة وإما أن يكون من الوجهاء أو الشيوخ فإن تلك الدولة غير راضية عن القبيلة أو الشيخ السابق لها فيدخلون ذلك الشخص إليهم ، وإما أن يكون شيخ عليهم بالفرض أو من الوجهاء ، لأنه من طرف الدولة أو الحاكم في المنطقة .

## ٣- العبيد :

وهم الرقيق، ومصدرهم إما بالشرء أو من خلال الغارات والغزو والحروب، فما يقع في يد أبناء القبيلة من أسرى منهم يصبحون عبيداً، وملكاً لمن أسرهم، فإما أن يفتدوا أنفسهم، وإما أن يظلوا عبيداً مملوكين حتى يُفكَّ أسرهم . وربما كان فكُّ أسرهم عن طريق التبادل بين الأسرى أو غير ذلك . والعبيد يكونون من الناحية العرقية على نوعين: الرقيق السُّود، والرقيق البيض .

(١) الجميلي، خضير عباس، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مركز التربية للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٤م،

ص٤٣٦-٤٣٧.

(٢) الجميلي، المرجع السابق، ص٤٤ - ٤٥ .

وهؤلاء العبيد محرومون من كل الحقوق، وعليهم خدمة مالكيهم وطاعتهم<sup>(١)</sup>،  
وقد عبّر عن ذلك عنتر بن شداد العبسي حين قال:

العَبْدُ عِبْدُكُمْ وَالْمَالُ مَالِكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفٌ<sup>(٢)</sup>  
أضف إلى ذلك؛ أن مالك العبد كان له الحقُّ في أن يعتق عبده ويمنحه حرّيته  
إذا أدّى له خدمةً كبيرةً أو جاء بفعلٍ جليلٍ، كما حدث لعنتر بن شداد،  
عندما قال له شداد قبل أن يعتقه ويلحقه بنسبه (كُزُّ وَأَنْتَ حُرٌّ)، وذلك  
حينما تعرّضت قبيلة عبس لغزوٍ وسبيٍّ من إحدى القبائل، فكّر عنتر وهزَمَ  
الأعداء وأعاد السبايا، وأبلى بلاءً حسنًا، فقال:

أَنَا	المهجين	عنتر	كل	أمريء	يحمي	جره
أسودّه،	وأحمره	والشعرات	مشفره	المشعره <sup>(٣)</sup>		
	الواردات					

ويوجد من هو أعلى من هذا؛ وهم أهل الحرف الصناعية سابقًا كالأطباء  
مثل الصناع، والكيال، والطرف، والكحيلي، والهميمي والجزار والحايك والصلبي  
والنور والخرّاز والفيضي والعبد وقد كان العرب يعرفون ذلك جيدًا لقتلهم ولكن  
الآن تزوج بعضهم البعض واختلط القليل بالكثير وكلنا من آدم، والمهنة ليست  
مما يعاب إذا كانت مهنة شريفة يمتهنها المرء ليستغني بها عن الناس:

لو كانت كل مهنة عيبًا لصاحبها ما كان داوودُ حدادًا وهو نبي

(١) سقال، ديزيره، العرب في العصر الجاهلي، ط ١، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٨٥. وسالم، السيد عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٨، ص ١٦٨. والأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى العنسي (ت ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، ط ١، عمان، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٥٤٦ ذكر الشطر الأول: (المال مالكم والعبد عبدكم).

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ٨، ص ١٦٩. والأندلسي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤٥.

ونوحًا الذي نرجوا من الله شفاعته خير من دَقِّ بالقدوم في الخشبِ  
ومن ذكرنا أغلبهم يعيش مع القبائل، وهو واحد منهم وجميع ما ذكر يرجع  
نسبهم إلى سام ابن نوح عليه السلام فهم أحرار إلا العبيد منهم والسبب في  
ذلك أن العرب في الجاهلية والإسلام يحتاجون إلى مثل هذه المهن ولأن الرجل  
فيهم يمتن إحدى المهن المذكورة مثل النجارة والحدادة وغيرها من المهن ،  
فتكون هذه المهنة مصاحبة له ولذريته من بعده والسبب في ذلك الفراغ لمليء  
هذه المهنة وقوته الذي يجنبه من وراء هذه المهنة الشريفة التي هي أفضل من  
قطع الطرق والسرقه والغدر والنهب والسلب ، فإنني بهذا أحرر ساحة هؤلاء  
البشر مما علق بهم من هذه المهن والتي أتت من جنوب الجزيرة العربية ، أعيد ما  
ذكرته فهم أحرار ونسبهم ليس فيه ما يعيق مصاهرتهم أو الحلف معهم وقد  
زوج النبي ﷺ بلال بجرة ووضع له راية مع أنس بن مدركة الشهراني الخثعمي .

### المبحث الثاني: موقف الإسلام من النظام القبلي

كانَ لعلماء الأنساب وجهاتُ نظرٍ متعددة في طبقات القبائل  
ومراتبها، إلا أنهم جميعًا متفقون على وجود هذه الطبقات والمرتبات، وأن  
اختلافهم ينحصر في التقديم والتأخير في هذه المرتبات، كما أنهم متفقون -في  
الغالب- على أن القبائل كانت على منازل ودرجات، وأن هذه الفكرة في  
طبقات القبائل كانت قد اختمرت في عقول العرب قبيل ظهور الإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) علي، جواد، مرجع سابق، ج ١، ص ٥١٠.

إن القرآن الكريم قدّم الشُّعُوبَ على القبائل في قول الله (عز وجل): ﴿يَأَيُّهَا  
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ  
اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] .

فالشعوب هنا فوق القبائل، إلا أن بعض علماء الأنساب قد زادوا  
مصطلح (الجذم<sup>(١)</sup>)، ووضعه قبل الشعب، وكذلك مصطلح الجماهير<sup>(٢)</sup>.  
والجُمُهور: جاء في (الصحاح) للجوهري مادة (جمهر): وجمهورُ الناس:  
جُلُّهم<sup>(٣)</sup>. أما المراتب والطبقات دون القبيلة فقد اختلف علماء الأنساب فيها  
من حيث ضبط الأسماء، وكذلك في ترتيبها، وهذا يدل على أن هذا الترتيب لم  
يكن يعرفه العرب قبل الإسلام؛ إذ لو أنهم كانوا يعرفونه لما اختلفوا هذا  
الاختلاف في ذكره وترتيبه، و"إنما هو ترتيبٌ اجتهادي أخذه علماء النسب من  
أفواه الرواة ومن الأوضاع القبلية التي كانت سائدة في أيامهم، فكان هذا  
الترتيب من اجتهاد أنفسهم وبعد ذلك رتبوها وفق ذلك الاجتهاد"<sup>(٤)</sup>.

إن علماء الأنساب رتبوا طبقات العرب على ست طبقات في حدها  
الأدنى إلى ست عشرة طبقة في حدها الأعلى، ولكنهم اختلفوا في أسماء هذه  
الطبقات وفي ترتيبها، وإذا أردنا أن نجمع عدد الطبقات من خلال الأسماء  
ورتبناها على وفق ترتيب محمد ابن أسعد النسابة المعروف بـ(الجواني) لأصبحت

(١) الجذمُ: بالكسر، وقد يفتح: وهو أصل الشيء، وجذم القوم: أصلهم / اللسان والقاموس والتاج مادة (جذم) /  
وجاء في النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٧١٦/١١، وفي حديث الأذان ( فعلاً جذم حائط فأذّن )  
الجذمُ: الأصل، أراد بقية حائط أو قطعة من حائط، وفي حديث حاطب ( لم يكن رجل من قريش إلا وله جذمٌ  
بمكة ) يريد الأهل والعشيرة.

(٢) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٢٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب  
المصرية، القاهرة، (د، ت)، ج٢، ص٢٦٤.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت،  
دار العلم للملايين، ١٩٩٠م، مادة (جمهر).

(٤) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٥١١.

كما قال: الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الأسرة ثم العترة ثم الدريرة . وزاد غيره في أثنائها ثلاثة، وهي: البيت والحَيّ والجماع<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الماوردي قوله: "رُتبت أنساب العرب ست مراتب، وهي: شُعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة .

فالشُّعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان؛ سُمِّي شُعبًا لأن القبائل منه تشعبت، ثم القبيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الشُّعب مثل ربيعة ومضر؛ سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، ثم العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبائل مثل قريش وكنانة، ثم البطن وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم، ثم الفخذ وهو ما انقسم فيه أنساب البطن مثل بني هاشم وبني أمية، ثم الفصيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الفخذ مثل بني أبي طالب وبني العباس، فالفخذُ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة

تجمع العمائر، والشعب يجمع القبائل، وإذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبًا"<sup>(٢)</sup>.

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٥١١.

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٢٥٥ . والهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٦٠هـ)، الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، صنعاء، ٢٠٠٤م، قال : مضر شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وفهر بطن وقصي فخذ هاشم حبل وآل العباس فصيلة وأما الرهط فكثير وقليل من هذه الصنوف. والحازمي، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمداني الملقب زين الدين (ت ٥٨٤هـ)، عجالة المبتدى وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق محمد زنيهم، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٢ - ١٣، قال مضر شعب، وكنانة قبيلة وقريش عمارة وبنو قصي بطن وبنو هاشم فخذ وبنو العباس فصيلة وأولاد المنصور عشيرة.

أما أسماء القبائل في اصطلاح العرب فقد جعلوها خمسة أوجه<sup>(١)</sup>:  
**الوجه الأول:** أن يطلق على القبيلة لفظة (الأب): كعاد وثمرود ومدين ومن  
شاكلهم. وبذلك ورد في القرآن الكريم قال تعالى: (وإلى  
عَادٍ)، (وإلى ثمود)، (وإلى مدين). يريد بذلك: بني عاد وبني  
ثمود وبني مدين ونحو ذلك. وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب  
والقبائل العظام، لاسيما في الأزمان المتقدمة.

**الوجه الثاني:** أن يطلق على القبيلة لفظة (البنوة) فيقال: بنو فلان، أي الذين  
ينتمون لشخص معين فحسب، وأكثر ما يكون ذلك في  
البطون والأفخاذ والقبائل الصغار، لاسيما في الأزمان المتأخرة.  
**الوجه الثالث:** أن ترد لفظة (القبيلة) بصيغة الجمع مع الألف واللام كقولنا:  
الطالبين والجعافرة ونحوهما، وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين  
دون غيرهم .

**الوجه الرابع:** أن يُعبّر عن القبيلة بـ (آل فلان) ويراد بها (الأهل)، كقولنا: آل  
ربيعة وآل فضل وآل علي ... وما أشبه ذلك، أي: أهل ربيعة،  
وأهل فضل، وأهل علي .

**الوجه الخامس:** أن يُعبّر عنها بـ (أولاد فلان)، وأكثر ما يكون هذا في الأزمنة  
المتأخرة من أفخاذ العرب، كقولهم: أولاد قريش وأولاد زعازع...  
ونحو ذلك .

وكما أسلفنا؛ فإنّ أكثر هذه المصطلحات أو التسميات لم ترد في  
الكتابات الجاهلية، ولا في الشعر المنسوب إلى الشعراء في العصر الذي سبق

---

(١) الألويسي، بلوغ الأرب، ج٣، ص١٩٢-١٩٣.

الإسلام؛ لذلك يصعب على الإنسان أن يبدي رأياً علمياً مقبولاً فيها، وإن أفضل ما يمكن فعله في هذا الموضوع؛ هو أن يستنطق الباحث الكتابات العربية القديمة التي وردت في زمن الجاهلية مع غزبتها وتحليلها، وكذلك العمل مع الشعر الذي ورد عن تلك الفترة . أيضاً . للبحث فيهما عما ذُكِرَ من مصطلحات تتعلق بالنُّظم القبلية، وعندئذ يمكننا أن نطرح رأياً فيها يكون قريباً من الصواب والصحة .

والنسب عند العرب يقوم على هذه الطبقات والمراتب التي أجمالناها، وقلنا: إن عددها يتراوح ما بين الست طبقات والست عشرة طبقة<sup>(١)</sup>. كما أن الطبقات المذكورة قائمة على دعوى النسب، فبين النسب وبناء المجتمع صلة وارتباط، ولا يمكن فَكُّ أحدهما عن الآخر، ولهذا نجد أن شجرات النسب تتفرع وتورق وتزهر على هذا الأساس، وإنَّ هذا التنظيم ينطبق على قبائل العرب بأنواعها، كما أنه ينطبق . أيضاً . على المجتمع العربي في جنوب شبه جزيرة العرب (بلاد اليمن) الذي تَغَلَّبَ عليه حياة الاستقرار والسكن والاستيطان؛ إذ أن بعض الكتابات التي وصلت إلينا من دول اليمن فيها إشارات تفيد بوجود هذا التنظيم القبلي عندهم، فقد عبروا عن القبيلة بلفظة (شعبم = شعبن)، أي بمعنى: (قبيلة)، فلم ترد عندهم لفظة (قبيلة) .

أما عن الطبقات التي تلي القبيلة فقد جاء عند أهل اليمن تقسيمات مثل: (ربعن) أي: (ربع)، و(ثلثن) أي: (ثلث)، وهم يريدون بذلك ربع قبيلة وثلث قبيلة، وربما هنالك أقسام أخرى لم تصل إلينا أسماؤها<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أنظر الجدول في نهاية هذا المبحث وهو عبارة عن عدد من الروايات وليس كل الروايات التي أوردتها النسابون والمؤرخون العرب عن طبقات القبائل وهي تمثل نماذج من الحد الأدنى وحتى الحد الأعلى، وإن بقية الروايات لا تخرج عن نطاق هذه الروايات.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٥١٢ - ٥١٣.

وهناك مصطلحات وتقسيمات أخرى ذكرها علماء الأنساب فقالوا: إن في العرب أَرْحَاءَ<sup>(١)</sup>، وجماجم<sup>(٢)</sup>، وشعوبًا وقبائل، أما الأرحاء فسُتُّ؛ وقد سميت أَرْحَاءَ لفضل قوتها وعددها على سائر العرب لأنها حمت دورًا وميَّاهًا ومرابع لم يكن للعرب مثلها، فدارت في دُورها دَوْر الرحي على أقطابها لا تفارق دورها طلبًا للنَّجعة<sup>(٣)</sup>. والأرحاء من ربيعة: بكر بن وائل، وعبد القيس، ومن مضر: أسد، وتميم، ومن اليمن: كلب، وطيء<sup>(٤)</sup>.

أما الجماجم فتسع<sup>(٥)</sup> وسائر العرب قبائل وعمائر، والجماجم جمع جمجمة، وهي عَظْمُ الرَّأْسِ المُشْتَمَلِ عَلَى الدِّمَاغِ، وجماجم القوم: ساداتهم، وجماجم القبائل هي التي تجمع البطون وينسب إليها دونهم، وجماجم العرب رؤسائهم، وكل بني أبٍ لهم عَزٌّ وشرفٌ فهم جمجمة .

والجماجم في العرب تسع: فائنتان في ربيعة، وأربع في مضر، وثلاث في اليمن<sup>(٦)</sup>.

**جماجم مضر:** غطفان بن سعد بن قيس عيلان، و هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان، وتميم بن مر ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكنانة بن مدركة بن خزيمية بن إلياس بن مضر.

---

(١) الأرحاء : جمع رَحَى، ورَحَى القوم : سَيِّدُهُمْ / مختار الصحاح مادة (رحى).  
(٢) الجماجم : جمع جُمَّجْمَة، وهي عَظْمُ الرَّأْسِ المُشْتَمَلِ عَلَى الدِّمَاغِ. مختار الصحاح للرازي، ماده، (جمم)  
(٣) النَّجْعَةُ : طلبُ الكَلَاءِ في موضعه، تقول منه (أنتجع). أنظر : مختار الصحاح للرازي، مادة (نجع).  
(٤) ابن عبد ربه، احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)، العقد الفريد، دار أحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت، ١٩٦٩ م، ج ٣، ص ٣٠٠. والحازمي، عجلة المبتدئ، ص ١١.  
(٥) بينما عدّها ابن عبد ربه ثماني جماجم. انظر ابن عبد ربه. العقد الفريد، ج ٢، ص ٤٧٩.  
(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٠٠. والحازمي، عجلة المبتدئ، ص ١١. وابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، المحبر . اعتنت به إيلزه ليختن شتيتز، بيروت، ١٩٤٢ م، ص ٢٣٤ ذكر الجماجم مع اختلاف في الأسماء.



جماجم ربيعة: بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وعبد القيس ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة .

جماجم اليمن: مَذْحِج، والأزد، وقضاعة بن مالك بن حمير. وأضاف البعض مصطلحاتٍ أخرى، فقالوا: (الجذم): بالكسر وهو أصل الشيء، وقد يفتح، وجذم كلُّ شيءٍ أصله وجذم القوم: أصلهم<sup>(١)</sup>، كما قالوا: جمرات العرب. والجمرة: القبيلة لا تنضم إلى أحدٍ، وهي التي تقاتل جماعة من القبائل، وقيل: يكون فيها ثلاثمائة فارس، وقيل: ألف فارس، وإن كل قوم يصيرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحدًا ولا ينضمون لأحد منهم فهم من بين جمرات العرب، وقد اختلف في جمرات العرب وأسمائها<sup>(٢)</sup>. وهناك مصطلح: (أثافي العرب): والأثافية هي الحجارة التي يوضع عليها القِدْرُ، وقيل: هي العدد والجماعة من الناس، وهناك عدد من قبائل العرب يطلق عليها هذا المصطلح<sup>(٣)</sup>. وأخيرًا نجد مصطلح (الجمهور)، أي: جمهور الناس أو القوم: يعني أشرافهم أو معظمهم أو جُلُّهم<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة ( جذم ). والفيروز آبادي، القاموس المحيط (جذم). والزبيدي، تاج العروس، مادة (جذم).

(٢) ابن حبيب، الخبر، ص ٢٣٤. وابن منظور، لسان العرب، مادة ( جمر ). والزبيدي، تاج العروس، مادة ( جمر ).

(٣) ابن حبيب، الخبر، ص ٢٣٤. وابن منظور، لسان العرب، مادة ( أثف ). والزبيدي، تاج العروس، مادة ( أثف ).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة ( جهر ). والزبيدي، تاج العروس، مادة ( جهر ).



٦	البطن	البطن	البطن	البطن	البطن	البطن	البطن	٦
٧	الفخذ	الفخذ	الفخذ	الفخذ	الفخذ	الفخذ	الفخذ	٧
٨	العشيرة	العشيرة	العشيرة	الحبل	العشيرة	الفصيلة	الفصيلة	٨
٩	الفصيلة	الفصيلة	الفصيلة	الفصيلة	الفصيلة	العشيرة	---	٩
١٠	الرهط	الرهط	الرهط	---	---	---	---	١٠
١١	الأسرة (الحمولة)	الأسرة	---	---	---	---	---	١١
١٢	البيت	العترة	---	---	---	---	---	١٢
١٣	العترة	الذرية	---	---	---	---	---	١٣
١٤		البيت	---	---	---	---	---	١٤
١٥		الحي	---	---	---	---	---	١٥
١٦		الجماع	---	---	---	---	---	١٦

جدول يتضمن أغلب الروايات لعلماء الأنساب والمؤرخين حول طبقات الأنساب والمراتب والدرجات

المصادر	المصادر	المصادر	المصادر	المصادر	المصادر	المصادر	المصادر
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٣، ص ١٩٢	نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢، ص ٢٦٢	الإكليل، ج ١، ص ٦٩-٧٠ منتخبات في أخبار اليمن، ص ٥٥	العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٩٩ تاج العروس، مادة (قبل)	عجالة المبتدى ص ١٢ البداية والنهاية ج ١، ص ١٨٩	جمهرة أنساب قريش ج ١ ص ٤٠ الأحكام السلطانية ص ٢٢٥ النزاع والتخاصم ص ٦		

## المبحث الثالث: الأنساب والقبائل العربية

### ١- معنى النسب وأهميته وفائدته :

#### أ- معنى النسب:

جاء في معاجم اللغة العربية عن معنى النَّسَبِ، فقالوا: النَّسَبُ: مُحَرَّكَةٌ واحد الأنساب، ويقصد به نَسَبُ القربات، وهو في الآباء خاصة، وانتسب الرجل: إذا ذكر نَسَبُهُ ويقال للرجل إذا سُئِلَ عن نَسَبِهِ: انْتَسَبَ لنا حتى نعرفك، ونَسَبْتُ فلاناً إلى أبيه، إذا رفعتُ في نَسَبِهِ إلى جدِّه الأكبر، والنَّسِيبُ: هو المناسب، والجمع: نُسَبَاءٌ وأنسباء، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه أي قريبه وشاركه في النسب<sup>(١)</sup>.

لقد ورد ذكر الأنساب في القرآن، إذ إنَّ عِلْمَ الأنساب هو عِلْمُ أسماءِ الرجال والآباء، فقال الله (عز وجل): ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣] ولما كان النَّسَبُ هو إلى الآباء وليس إلى الأمهات فإن الله (عز وجل) أمرنا به حيث قال تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥] وقد وردت لفظَةُ الأب والآباء في القرآن الكريم في مئة وسبع عشرة آية<sup>(٢)</sup>.

(١) الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق/ حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، ج ١٠، ص ٦٥٨٣. وابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب) / الزبيدي، تاج العروس، مادة (نسب).

(٢) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٢، ص ٤.

إن الله سبحانه وتعالى أكد على أن الأنساب في الآباء من خلال الآيات التي وردت بحق النساء الحوامل والمطلقات، فقال (عز وجل): ﴿وَأَمْطَلَقْتُ يَتَرَبَّصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلُنَّنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] (١). فلم التَّربُّصُ وعدم كتمان ما في أرحامهن إذا كان النسب إلى الأم؟! إن هذا دليل على أن ما في رحم الأم هو منسوب إلى الأب، وأخيراً وليس آخراً نقول: إن الله (عز وجل) يؤكد على أن هنالك أنساب بين البشر وأن هذه الأنساب هي للحياة البشرية في الحياة الدنيا وهي ضرورية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣] فكيف للإنسان أن يعرف هذه المحرمات إن لم يكن له علم بالأنساب؟.

أما في الحياة الآخرة فقال الله (عز وجل): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا﴾ [الشعراء: ٨٨] وقد يكون النسب . أيضاً . إلى البلاد، وكذلك يكون النسب إلى الصناعة، وهذا أكثر ما يكون عند العجم، فالانتساب إلى الأمكنة

(١) وتنظر سورة الحج، الآية : ٢، وسورة الطلاق، الآيتان : ٤، ٦.

مشهورٌ مدركٌ بالأخبار المتواترة غير مفتقرة إلى تجشُّمٍ بحثٍ وتكَلُّفٍ سبِّرٍ، والصنائع معروفةٌ أيضاً<sup>(١)</sup>. وذهب (حاجي خليفة) إلى أنَّ سبب الانتساب إلى المدن والصنائع أن العرب اعتنوا بضبط أنسابهم إلى أن كثر الإسلام، واختلطت بعض أنساب العرب بالأعاجم فتعذر ضبط الآباء، فانتسب كل مجهول النسب إلى بلده أو حرفته أو نحو ذلك حتى غلب هذا النوع<sup>(٢)</sup>.

وأطلق على الذي لديه علمٌ بالأنساب اسم: (النَّساب)، أو: (النَّسابة)، وهو البليغ العالم بالأنساب، والجمع (النَّسابون). وأدخل أهل اللغة الهاء في (النَّسابة) للمبالغة والمدح، وألحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية، فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة<sup>(٣)</sup>.

## ب- أهمية علم الأنساب وفائدته:

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِيَّاَنَا خَلْقَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] وهذا نصٌّ قطعيٌّ على أهمية علم الأنساب وفائدته، فقد جعل الله تعارف الناس بأنسابهم غرضاً له تعالى في خلقه لهم شعوباً وقبائل، فعلم بذلك أن علم النَّسَبِ علمٌ جليلٌ رفيعٌ؛ إذ به يكون التعارف، وقد جعل الله تعالى تعلم جزءٍ منه ممَّا لا يسع أحداً جهله، وجعل تعالى جزءاً يسيراً منه فضلاً تعلمه، يكون من جهله ناقص الدرجة في الفضل، وكلُّ علمٍ هذه صفته فهو علمٌ فاضلٌ، لا ينكر حقَّة إلا جاهلٌ أو معاندٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) الحازمي، عجالة المبتدئ وفضالة المنتهي في النسب، ص ١٠. وابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب). والزبيدي، تاج العروس، مادة (نسب).

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الأستانة، ١٩٤١ م، ج ١، ص ١٧٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب). والزبيدي، تاج العروس، مادة (نسب).

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ١، ٢.

و"لا خفاء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة؛ لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والمعالن الدينية، فقد وردت الشريعة المطهرة باعتبارها في مواضع"<sup>(١)</sup>، ويمكننا أن نحدد فائدة علم الأنساب بما يأتي:

١- أن يعلم المرء نسب النبي محمد ﷺ، الذي بعثه الله تعالى إلى الجن والإنس بدين الإسلام، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي المولود بمكة . فمن شك في نسبه فهو كافر غير عارف بدينه، إلا أن يُعذر بشدة ظلمة الجهل ويلزمه أن يتعلم ذلك، ويلزم من صحبه تعليمه أيضاً<sup>(٢)</sup> .

٢- أن يعرف الناس أنسابهم حيث لا ينتسب أحد إلى غير آباءه وأجداده؛ قال الله تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥] إذ إن معرفة هذا الأمر تترتب عليه أحكام النكاح والوراثة والوقف وغيرها من الأمور الشرعية<sup>(٣)</sup> .

٣- والغرض من علم النسب هو أن يعلم المرء فيمن تكون (الإمامة) أو الخلافة والنسب له ولقبيلته وأهله ، فلولا المعرفة بعلم النسب لما تمكن الناس من معرفة من يحق له الإمامة، ولأصبح بالإمكان أن يدعيها من لا تحل له، وهذا لا يجوز أصلاً<sup>(٤)</sup> .

وهناك من نسب أحاديث إلى الرسول ﷺ تقول: إن علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضُرُّ. وقد ثبت بطلان هذا القول؛ وصحَّ أنه بخلاف ما قال عليه

(١) القلقشندي، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، ص ١٣ .

(٢) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٢. والقلقشندي، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، ص ١٣ .

(٣) القلقشندي، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، ص ١٣ .

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٢. والقلقشندي، نهاية الإرب في معرفة انساب العرب، ص ١٤ .



الصلاة والسلام بأنه علم ينفع وجهل يضر، وأن هذا الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ باطل برهانين، أحدهما: أن هذا الحديث لا يصح من جهة النقل والإسناد أصلاً، وما كان هكذا فحرام على كل ذي دين أن ينسبه إلى النبي ﷺ؛ إذ إنه تَقَوَّل عليه ما لم يَقُلْ، والثاني: أن البرهان قد قام . بما ذكرنا آنفاً . على أن علم النسب علم ينفع وجهل يضر في الدنيا والآخرة، وأن الله (سبحانه وتعالى) قد قصَّ علينا في القرآن الكريم ولادات كثير من الأنبياء (عليهم السلام) وهذا علم نسب، وإن النبي ﷺ، قد انتسب<sup>(١)</sup>.

وهناك أحاديث كثيرة للنبي ﷺ تحت الناس على تعلم الأنساب ومعرفتها: فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراً في المال، منسأة في الأثر)<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى عن أبي هريرة . أيضاً . أن النبي ﷺ قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)<sup>(٣)</sup>.

. وفي رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص أنه قال للنبي ﷺ: من أنا يا رسول الله؟ قال: (أنت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة، من قال غير هذا فعليه لعنة الله)<sup>(٤)</sup>.

. وقد ورد عن أحد علماء الأمة قوله: بلغني أن الله (سبحانه وتعالى) خصَّ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الأمم: الإسناد، والأنساب، والإعراب.

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣-٤.

(٢) السمعاني، الأنساب، تعلیم وتعليق عبد الله البارودي، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨ م، ج ١، ص ٢٢. والحاكم، المستدرک، ج ٤، ص ١٦١، الترمذي، ج ٤، ص ٣٠٩ برقم (١٩٧٩).

(٣) السمعاني، الأنساب، ج ١، ص ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤.

## ٢- موقف العلماء من الأنساب العربية

### أ- موقف العلماء العرب المسلمين القدماء :

ذُكِرَ أن هناك طائفة من النسابين العرب القدامى والمؤرخين قد وضعت جداول نسبية تمضي صعودًا حتى تبلغ تلك السلاسل إلى سيدنا آدم عليه السلام، مع اختلاف النسابين في بعض الأسماء من حيث الألفاظ والترتيب والعدد، وأن معتمدتهم في هذه الأنساب فيما يخص قبل عدنان وقحطان؛ كان على كتاب العهد القديم لليهود، أو على ما يسمى بعلماء الإسرائيليات، وأن كتب التاريخ القديمة تتناول هذه الأنساب لدى حديثها عن بدء الخليقة.

فنحن نجد أن جداول هؤلاء النسابين متصلة لا انقطاع فيها، تبدأ بسيدنا آدم عليه السلام، وهو في نظر بعض النسابين الجد الخمسون للرسول صلى الله عليه وسلم. في حين جاء عند ابن إسحاق في السيرة النبوية أن بين سيدنا آدم عليه السلام وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأربعين رجلاً حتى تصل إلى عدنان وقحطان، وعن هذين الجذمين تتفرع القبائل العدنانية والقحطانية إلى بطون وعشائر وأفخاذ .

إن طائفة من العلماء العرب أبت التسليم بصحة هذه الأنساب التي جاءت فوق عدنان وقحطان، وأبدوا شكوكهم بأحاديث منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأقوال لطائفة من أئمة المسلمين، من ذلك: ما ورد عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا بلغ نسبه إلى عدنان لم يتجاوزوه، وقال: (كذب النسابون)<sup>(١)</sup>.

وذكروا أن الإمام مالك بن أنس سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم عليه السلام فكره ذلك، وقال: من أين يعلم ذلك؟ فقيل له: في إسماعيل، فأنكر ذلك أيضًا، وقال: من يخبره به؟ وعقب ابن خلدون على ذلك قائلاً: إن كثيراً من علماء السلف ذهبوا هذا المذهب<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٤٧، وأخرجه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٤٣٥١).

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ٣.

وإلى هذا المذهب ذهب . أيضًا . مُشكِّكًا في صحة الأنساب القديمة محمد بنُ سلام، حيث قال: "ما فوق عدنان أسماء لم تؤخذ إلا عن الكتب، والله أعلم بها، لم يذكرها عربي قط"<sup>(١)</sup>.

أما ابنُ حزم فقد قال: "ليس على ظهر الأرض أحدٌ يصل نسبه بصلةٍ قاطعةٍ ونقلٍ ثابتٍ إلى إسماعيل ولا إلى إسحاق (عليهما السلام) نعي: ابني إبراهيم الخليل عليه السلام، فكيف إلى نوحٍ؟ فكيف إلى آدم (عليهما السلام)؟ هذا ما لا مرية فيه"<sup>(٢)</sup>. إلا أنه يذهب إلى أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام بلا شك، إلا أن تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل عليه السلام قد جهلت جملةً، وإن قومًا قد تكلموا في ذلك بما لا يصح<sup>(٣)</sup>.

كما أن هذا الأمر ينطبقُ بدوره على الأسماء ما فوق قحطان أيضًا، وأن النسابين والمؤرخين العرب مُتفقون على أن العرب ترجع إلى عدنان وقحطان، وأنهم متفقون على أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، إلا أنهم لم يتفقوا على أن قحطان من ولد إسماعيل عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وقد روي عن عروة بن الزبير أنه قال: ما وجدنا أحدًا يعرف وراء معد بن عدنان<sup>(٥)</sup>، وفي رواية أخرى<sup>(٦)</sup> عن عروة بن الزبير . أيضًا . وسليمان بن أبي حثمة قال: ما وجدنا في شعر شاعرٍ، ولا في علم عالمٍ أحدًا يعرف ما وراء معد بن

(١) ابن سلام، محمد الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق/ محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٧٤م، ج١، ص١١.

(٢) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٨.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٧. وابن عبد البر، الأنباه على قبائل الرواة، ص٤٣.

(٤) ابن عبد البر، الأنباه على قبائل الرواة، ص٤٢، يقول أن الآباء بين عدنان وإسماعيل غير مدونة وتنقلب في غالب الأمر مخلطةً مختلفةً بالقلة والكثرة في العدد فأما نسبه إليه فصحيحة. وابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص ٣ وما بعدها. والجميلي، نخضير عباس، قبيلة الأزد، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد ١٩٩٦م، ص ١٤ - ١٥.

(٥) ابن عبد البر، الأنباه على قبائل الرواة، ص٤٣.

(٦) ابن خياط، الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بغداد، ١٩٦٧م، ص٢.

عدنان بحق؛ لأن الله يقول: كَثِيرًا ذَلِكَ بَيْنَ وَرَأَى الرَّسِّ وَأَصْحَابَ وَثُمُودًا وَعَادًا [الفرقان: ٣٨]. وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: ما وجدنا أحدًا يعرف ما وراء معد بن عدنان ولا ما وراء قحطان إلا تخرصًا<sup>(١)</sup>. وأكَّد لنا ابنُ خياط ذلك فقال: أَضَلَّتْ نَزَارٌ نَسَبَهَا مِنْ عَدْنَانَ، وَأَضَلَّتْ الْيَمَنُ نَسَبَهَا مِنْ قَحْطَانَ<sup>(٢)</sup>. أما الهمداني فقد توسع في توضيح التشكيك في سلاسل هذه الأنساب، فقال: إن العرب عندما قامت العصبية القبلية أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان، قاموا بإفساد الأنساب، فاختصروا وَقَلَّلُوا وطرحوا من الأسماء بما يلائم هواهم بشكل مقصود<sup>(٣)</sup>.

وقد طعن الباحثون العرب القدامى المحققون في أخبار طائفة من النسابين، فطعنوا في كثير مما أورده ابن إسحاق<sup>(٤)</sup>، في كتابه (السير والمغازي) مما جاء فيه من أخبار وأشعار وأنساب<sup>(٥)</sup>، كما وُجِّهت الطعون إلى النسابة المشهور ابن الكلبي<sup>(٦)</sup>؛ فاتهم بوضع الأخبار، وكان كثيرًا ما يوصف بالكذب، حيث وردت بحقه في الكذب عبارة هي: "أكاذيب ابن الكلبي"<sup>(٧)</sup>. وكذلك وجهت تهمة الكذب

(١) ابن عبد البر، الأنباه على قبائل الرواة، ص ٤٣، الرواية عن عروة بن الزبير ما وجدنا أحدًا يعرف ما وراء معد بن عدنان بدون ذكر ولا وراء قحطان إلا تخرصًا، السيوطي في الدرر، ج ٨ ص ٤٩٥.

(٢) ابن خياط، الطبقات، ص ٢.

(٣) الهمداني، الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، إصدار وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ج ٨، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) ابن إسحاق، هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار بن خيار كانت وفاته ما بين سنة ١٥٠ وسنة ١٥٣هـ، وهو شيخ الرجال الذين كتبوا في السيرة له علم واسع، وحده يسار من سبي عين التمر. وابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠ وما بعدها ترجمة محقق الكتاب.

(٥) ابن النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، دار المعرفة-بيروت، ص ١٠٥.

(٦) ابن الكلبي: أبو النضر محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) له مؤلفات في النسب بل أنه يعد إماماً في علم النسب. وابن النديم، الفهرست، ص ١٠٨. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٥٨.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج ٩، ص ٤٠ و ج ٢٠، ص ٣٤.

والافتعال في الأنساب إلى الراوية النسابة الشرقي ابن القطامي<sup>(١)</sup>، وقد قدمت عنه شواهد مما يدل على كذبه وافتعاله<sup>(٢)</sup>.

وختاماً نقول: إنَّ المرويات التي نقلها بعض المؤرخين والنسابين العرب حول سلاسل النسب من آدم ﷺ ومن تناسل عنه، إنما نقلت عن أهل الكتاب أو عن علماء الإسرائيليات، وقد تعرضت لنقد شديد وعنيف من جانب العلماء العرب والمسلمين الذين حَقَّقُوا في هذه المرويات ومصادرها<sup>(٣)</sup>؛ لذا فلا يمكن الاعتماد عليها لما فيها من الكذب والتزوير والتشويه، وأنها كما قال ابن حزم: "قد بيَّنا في كتابنا الموسوم بـ(الفصل) يقيناً فساد نقل التوراة [يعني بها كتاب العهد القديم لليهود] عند ذكرنا ما فيها من الكذب الظاهر الذي لا مخرج منه، وأنها مصنوعةٌ مولدةٌ ليست التي أنزل الله تعالى على موسى ﷺ ألبتة"<sup>(٤)</sup>.

#### ب- موقف العلماء والباحثين المُحدِّثين :

بعد أن عرضنا موقف العلماء المسلمين من الأنساب العربية، وتبين لنا أن كثيراً منهم وَجَّهَ إلى النسابين النقد وأصاب الاتهام والتلاعب بسلاسل النسب فيما يخص ما فوق عدنان وقحطان . نعرضُ هنا مواقف العلماء المُحدِّثين سواء الغربيين المستشرقين والعرب، إذ إن أكثر الباحثين المُحدِّثين من المستشرقين وغيرهم لم يطمئنوا إلى صحة الجداول النسبية التي أوردها النسابة هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره من النسابين والمؤرخين العرب في كتبهم، وذهبوا إلى أنها في جملتها مفتعلة، وُضِعَتْ من قبل نسابي اليمن بشكل خاص<sup>(٥)</sup>.

(١) الشرقي القطامي، هو أبو المثنى الشرقي بن القطامي الكلبي (ت نحو ١٥٥هـ) من علماء الكوفة في الأنساب والأدب، له روايات كثيرة في كتاب الأغاني إلا أنه لم يؤلف كتاباً في الأنساب، وابن قنيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٥٩. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٥٧.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ١٠٢.

(٣) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٦.

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٨.

(٥) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٧.

وأول مستشرق آثار الشك حول صحة هذا النسب العام للعرب هو العالم الألماني (ثيودور نولدكه = Noldeka)؛ حيث وَجَّهَ أصابع الاتهام إلى نَسَابِي اليمن، وبيَّن مدى تأثيرهم في وضع هذه الأنساب وتلفيقها وإبرازها على أنها حقائق تاريخية مُسلَّمٌ بها وأنها ترجع إلى عهود قديمة قبل الإسلام<sup>(١)</sup>.

وبلغ من شدة تمسُّك نولدكه بموقفه هذا أنه قال: "قد حان للعلماء أن يلقوا وراء ظهورهم تلك الآراء الصبانية التي تحاول أن تقنعنا أن كتب الأنساب العربية التي لَقَّعَهَا محمد الكلبي وابنه هشام وغيرهما، ليبيِّنوا صلة القرابة بين الأسر العربية المعاصرة لهم والقبائل القديمة خالية من كل تلفيق وتزوير، أمِنَ المعقول يا ترى أن تنسب جميع قبائل قيس النازلة في أواسط بلاد العرب إلى شخصٍ واحدٍ، هو قيس المتوفى، وكلامه لا يؤخذ به . كما يزعمون . قبل ظهور المسيح ﷺ بمدة قليلة؟! والذي عندي: أن لا أحدًا من الشعوب والقبائل العظيمة يعرف حقيقة الشخص الذي يُنسبُ إليه"<sup>(٢)</sup>، بل إن العالم المستشرق (هاليفي = Halevy) ذهب إلى أبعد من ذلك، فرأى أن كل ما قيل في هجرة القبائل اليمنية إلى الشمال هو أسطورة، وأن ما يزعم من انتساب تلك القبائل إلى اليمن هو حديث خرافة لا يركن إليه<sup>(٣)</sup>.

كما أكد مستشرق آخر هو (غولد سيهر = Goldziher) وأظهر مدى تأثر النسابين العرب بالأنساب التي وردت في كتاب العهد القديم لليهود والمزعوم زورًا ومهتانًا بأنه التوراة، وأنَّ أثرَ الإسرائيليات واضحٌ في هذه الأنساب.

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٤٨١. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٧.

(٢) ولكن (Wilken)، الأمومة عند العرب، ترجمه بنديلي خوري، ص ٤. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٧.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٤٨٢. وبلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ١٢٩.

ولكنه أقرَّ بعد ذلك بأن هذا التقسيم الثنائي الذي ظهر في عصور متأخرة لا بُدَّ من أن يكون له أصلٌ في تاريخ العرب القديم<sup>(١)</sup>.

أما المستشرق الفرنسي (بلاشير = Blachere) فإنه ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه غيره من الباحثين الغربيين؛ فهو لم يكتفِ بإنكار الأصول الكبرى للأنساب، بل أوغل في الشك، فأنكر صلات القرى القائمة بين طائفة من القبائل العربية التي تنتمي إلى أصل واحد<sup>(٢)</sup>.

لقد اتجه معظم المستشرقين إلى التشكيك في الأنساب العربية، فرأوا أن للنسابين يدًا في ترتيب هذه الشجرة العظيمة للأنساب أو بتعبير أصح: الشجرتين؛ شجرة نسب أبناء قحطان، وشجرة نسب أبناء عدنان. ولذلك فهم لا يطمئنون إليها، ولا يصدقون بكثير من هذه الأنساب المروية، وبالأخبار والروايات الواردة في هجرة القبائل القحطانية نحو الشمال<sup>(٣)</sup> وهذه هي الحقيقة بأن هجرة قحطان إلى الشمال حتى المدينة المنورة والخزرج والأنصار وكذلك الشرق لعمان.

على أن هناك نفرًا من الباحثين الغربيين خالفوا من أنكر موضوع هجرات القبائل العربية الجنوبية إلى الشمال. ومن هؤلاء: المستشرق الإيطالي (كايتاني)، والمستشرق الفرنسي (بلاشير)؛ فقد أكدوا وقوع هذه الهجرات، بل قدما دلائل وتعليقات لهذه الهجرات مستشهدين بأدلة علمية وحقائق تاريخية<sup>(٤)</sup>.

وذهب جورج زيدان إلى أن العرب لم يعرفوا في جاهليتهم حتى أيام الرسول ﷺ توزعهم إلى عدنانيين وقحطانيين، وأنَّ أوَّلَ مَنْ بدأ الحديث عن توزع العرب إلى هذين الجذمين، إنما بدأ مع الخلاف بين المهاجرين والأنصار، وأنَّ انقسام العرب إلى قحطانية وعدنانية لم يكن قبل الإسلام وإنما ظهر بعد ظهور

(١) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٧ و ص ٣٩.

(٢) بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ص ٢٢. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٩.

(٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٤٨٢.

(٤) بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص ٢٩. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٤٠.

الإسلام(١). وهذا غير صحيح؛ لأن هذا التقسيم كان قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة لوجود سلالة إسماعيل عليه السلام.

وعلى أن أشد ما تعرّضت له الأنساب العربية من نقْدٍ هو؛ ما تناول الأساس الذي تقوم عليه جداول الأنساب، وهو رابطة الأبوة، أي: انتماء كل قبيلة إلى أب واحد، وانقسام القبيلة ونموها عن طريق الأبناء الذكور؛ فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين مباحث غربية تناولت بعض الجوانب الاجتماعية لدى الأمم البدائية ولاسيما الزواج عند هذه الأمم. ولما طبقت نتائج هذه الأبحاث على حياة القبائل العربية في أطوارها الأولى ظهر الاختلاف سافراً بينها وبين مباحث العرب في الأنساب، فقد أفضت مباحث الغربيين بهم إلى القول بنظرية الأمومة، التي تفسر . في رأيهم . صلات النسب والقربى بين أبناء القبيلة الواحدة على نحو يخالف مخالفةً تامة اتجاه النسابين العرب، حتى وصل الأمر بهم إلى أن عدّوا هذه الأنساب أسطورةً مختلقة وافتعالاً محضاً<sup>(٢)</sup>.

وهنا لا بُدّ لنا من الإشارة إلى أن هذه البحوث أجريت على مجتمعات غربية جداً عن المجتمع العربي، ثم أراد هؤلاء الباحثون تطبيق نتائج بحوثهم هذه على المجتمع العربي الذي يختلف كلياً عن تلك المجتمعات التي أجريت عليها هذه البحوث والافتراضات .

ومن أبرز العلماء الذين درسوا المجتمع العربي القديم (روبرتسون سميث) الذي ألف كتاباً عنوانه: (رابطة القربى والزواج في بلاد العرب القديمة)، وكذلك (ولكن) الذي وضع كتاباً عنوانه: (الأمومة عند العرب) . وقد اعتمد معظم الباحثين الغربيين على ما أورده روبرت سميث في كتابه من إنكار صحة الأنساب العربية

---

(١) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٣٩. وعلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٤٨٣ وما بعدها.

(٢) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٤١.



القديمية<sup>(١)</sup>، حيث استند (سميث) في نقض مباحث العرب في الأنساب إلى أمرين: أولهما الأمومة التي كانت شائعة عند العرب وسائر الأمم في أطوارها البدائية، وثانيهما الطوطمية التي فسّر بها الرابطة بين أفراد الجماعة، كما فسّر بها أسماء كثير من القبائل العربية<sup>(٢)</sup>. وعلى حسب رأي (سميث) فإن الرابطة الأبوية التي جعلها النسابون عماداً تسلسل الأنساب العربية وتفرعها لم تعرف إلا قبيل ظهور الإسلام، فقد خيل للنسابين العرب . على حسب رأيه . أنها كانت كذلك منذ أقدم العصور، في حين أن القرابة بين بطون القبيلة لم يكن مصدرها في العصور القديمة الانتماء إلى أبٍ مشترك<sup>(٣)</sup>.

إن آراء (سميث) هذه لا تستند إلى حقائق علمية، بل هي قائمة على افتراضات وتفسيرات شخصية وعلى دراسات أجريت على مجتمعات بدائية قديمة غير المجتمع العربي، ولدينا من الدلائل ما ينقض هذه الآراء والافتراضات؛ فالمجتمع العربي كان وما زال منذ أقدم العصور وإلى وقتنا الحاضر يقوم على أساس الأبوة وليس على أساس الأمومة، فالذي يذهب إلى الآثار التي خلفها لنا أسلافنا القدامى في كل المواقع الحضارية في بلاد العرب، سواء كانت في شبه جزيرة العرب لدى السبئيين، أو المعينيين، أو القتبانيين وغيرهم، ودقّق في كتاباتهم ونقوشهم لوجد أن سلاسل قوائم الملوك كلها تنتسب إلى الآباء وليس إلى الأمهات، وكذلك الحال بالنسبة لآثار بلاد وادي الرافدين، سواء كانوا أكديين، أو بابليين، أو آشوريين، فإن قوائم الملوك كلها تنتسب إلى الآباء وليس إلى الأمهات . وكذلك الأمر بالنسبة للأسرات الحاكمة من الأسرة الأولى إلى الأسرة الحادية والثلاثين في حضارة مصر الفرعونية كلها تنتسب إلى الآباء وليس إلى الأمهات وكذلك سلالة قحطان في جنوب الجزيرة نجد أنهم محتفظين بنسبهم وجدهم الأعلى قحطان .

(١) النص، القبائل العربية، ج ١، ص ٤٢.

(٢) النص، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٤.

أما الباحثون العرب المحدثون فقد تناولوا الأنساب العربية ولم يكن موقفهم منها واحدًا؛ فقد تابع بعضهم الباحثين الغربيين، وأعلن شكّه في هذا التراث الذي خَلّفه لنا النسائون العرب<sup>(١)</sup>، ووقف البعض الآخر موقفًا وسطًا، فلم يأخذ بأقوال العلماء الغربيين على أنها حقائق علمية مُسلّمٌ بها، وإنما تناولها بالنقد فرفض جانبًا منها وأقرّ منها ما ارتضاه على حسب رأيه<sup>(٢)</sup>. ولعل أكثر المتحمسين لهذا الموقف هو جورجي زيدان الذي عرّضَ لآراء الباحثين الغربيين وناقشها وردّ عليها في طائفة من المقالات<sup>(٣)</sup>، وهو من الذين أنكروا كونَ العرب قد مرّوا بطور الأمومة وعرفوا ظاهرة الطوطمية، وقرر أن العرب لم يعرفوا إلا نظامًا اجتماعيًا واحدًا هو نظام الأبوة، وأنّ كلّ ما وصلنا من أخبار وما عثرنا عليه من وثائق وآثار تؤكد سيادة الأب، ولا مجال عنده للشك في صحة الأنساب العربية<sup>(٤)</sup>.

أما إذا أردنا حسم الأمر في نصوص الكلام المنزل من الله ( سبحانه وتعالى)، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ففيه أدلة كثيرة في آيات كثيرة على الأبوة وليس على الأمهات بدءًا من قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]<sup>(٥)</sup> فهذا هو أول البشر تبدأ معه الأبوة كما أشار الله ( سبحانه وتعالى) إليها، وقد وردت في القرآن الكريم آيات

(١) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٤٥.

(٢) حمودة، عبد الوهاب، نظرية الأنساب في الميزان، مجلة كلية الآداب القاهرة، العدد ١٤٧، أيار، ١٩٥٢.

(٣) زيدان، جورجي، مجلة الهلال، الأجزاء ٧، ٨، ٩ من السنة الرابعة عشر، ١٩٠٦ م. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٤٥.

(٤) زيدان، جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ٤٠ وما بعدها. وعلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٥٢١.

(٥) أشرنا في بداية الفصل عند الحديث عن معنى النسب بأنه إلى الآباء وليس الأمهات.

كثيرة تشير إلى الآباء بصيغ مختلفة<sup>(١)</sup>. في حين وردت الأم في القرآن الكريم ولكن ليس بصيغة النسب إليها<sup>(٢)</sup>، إلا في حالة واحدة وهذا من باب المعجزات الإلهية الخارقة في قصة سيدنا عيسى عليه السلام الذي ولد بكلمة من الله وليس له أب فقال (عز وجل) : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ ۗ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۗ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ اَنْىٰ يَكُوْنُ لى وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرٌ ۗ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ اِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴿﴾ [عمران: ٤٥ - ٤٧]. وقد حاججها قومها بولادته من غير أب فأجابهم الله (عز وجل) بقوله ﴿ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِى دِيْنِكُمْ وَلَا تَقُوْلُوْا عَلَى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ ۗ اِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلٌ اَللّٰهُ وَكَلِمَتُهُ اَلْقِيْلَآءُ اِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِّنْهُ فَاَمْنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُوْلُوْا ثَلٰثَةٌ اُنْتَهُوا خِيْرًا لَّكُمْ ۗ اِنَّمَا اللّٰهُ اِلٰهُ ۗ وَحَدُّ سُبْحٰنِهِ اَنْ يَكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَكَفَى بِاللّٰهِ وَكِىْلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ اَنْ يَكُوْنَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُوْنَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِيْهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيْعًا ﴿﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢] وقوله تعالى: ﴿ اِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴿﴾ [آل عمران: ٥٩].

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٢ و ٤، وردت لفظة أب في مئة وسبع عشرة آية باشتقاقات مختلفة.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩ / وردت لفظة الأم في القرآن الكريم في سبع وعشرين آية، وباشتقاقات مختلفة.

### ٣- تدوين الأنساب .

يمكننا أن نقسم عملية تدوين الأنساب إلى مرحلتين، هما:

#### أ- المرحلة الأولى (مرحلة الرواية الشفوية "المشاهدة"):

عُرِفَ عن كل قبيلة من القبائل العربية أنه قد كان لها نسابةٌ واحدٌ أو أكثر سواء، وأنه كان ثمةً نسابون يحفظون أنساب طائفةٍ من القبائل العربية. إلا أنه لم يكن لدى نسّابي هذه المرحلة تصور واضح وشامل ومتكامل لأصول القبائل العربية وتوزعها على نحوٍ دقيق، وأن أي قبيلة يرجع نسبها بوجه عام إما إلى عدنان وإما إلى قحطان، وكان هذا التوزيع الثنائي سائدًا منذ العصر الجاهلي وحتى بداية العصر الإسلامي وطوال العصر الأموي، وعلى أساسه بُنِيَت العصبية القبليّة والأحلاف بين القبائل العربية، ولا ننسى هنا أن نشير إلى نقطةٍ مهمة، وهي أنه وجدت قبائل مُخْتَلَفٌ في نسبها بين العدنانية والقحطانية، فقسمٌ من النسّابين جعلها في نسب عدنان، والقسم الآخر جعلها في نسب قحطان، وهناك مَنْ حاول أن يُوفِّقَ بين الرأيين بصيغةٍ أو بأخرى.

وعن هؤلاء النسّابين الأوائل أخذ علماء النسب معارفهم النسبية ودَوَّنوها في مؤلفاتهم عن الأنساب<sup>(١)</sup>.

ومن نسّابي المرحلة الأولى الذين أخذ الناس عنهم الأنساب نجدُ في قبيلة قريش أربعةً من النسّابين المشهورين، وهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجبير بن مطعم، وأبو الجهم بن حذيفة، وعقيل بن أبي طالب، وهم من أعلم الناس بالأنساب. فقد كان أبو بكر أعلم قريش بأنسابها وعنه أخذ جُلُّ نسّابي قريش<sup>(٢)</sup>. كذلك جبير بن مطعم (ت ٥٩هـ) وهو من بني عدي بن نوفل بن عبد مناف،

(١) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥.

كان من أشهر علماء قريش بالنسب، وقد ذُكِرَ أنه كان أنسب قريش لقريش والعرب قاطبة<sup>(١)</sup>.

أما ثالث علماء النسب القرشيين المشهورين فهو أبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله القرشي العدوي (ت نحو ٧٠هـ) وكان من مشيخة قريش وله صحبة<sup>(٢)</sup>.

أما الرابع فهو عقيل بن أبي طالب (ت ٦٤هـ)، قال عنه الجاحظ: إنه كان "ناسبًا، عالماً بالأمهات، بيِّن اللِّسان، سديدَ الجواب، لا يقوم له أحد"<sup>(٣)</sup>، كما أن الناس كانوا يأخذون عنه الأنساب في مسجد المدينة<sup>(٤)</sup>.

ومن أوائل النسابين القدامى من غير قريش، والذين أخذ عنهم مدونوا الأنساب، النَّخار بن أوس العذري (ت نحو ٦٠هـ)، وهو من بني الحارث بن سعد بن هذيم حلفاء بني عذرة. كان خطيبًا عالماً بالأنساب، وعنه أخذ محمد بن السائب الكلبي أنساب معد بن عدنان، وقد شهد له بأنه كان أحفظ الناس ممن رآه أو سمع به<sup>(٥)</sup>، كما شهد له ابن حزم بأنه كان أنسب العرب<sup>(٦)</sup>.

كذلك دَعُفَلَ بن حنظلة السَّدُوسِي (ت ٦٥هـ)، كان ممن أدرك النبي ﷺ، ووفد على معاوية فسأله عن الأنساب، وكان من أعلم الناس بأنسب القبائل العربية<sup>(٧)</sup>.

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٠٣.

(٢) الزبير، مصعب بن عبد الله، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر، ١٩٧٦ م، ص ٣٦٩. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٥٣، ذكره باسم أبو الجهم عامر. وابن حجر، الإصابة، ج ٧، ص ٣٤.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٣٢٢-٣٢٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، دار التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨هـ، ج ٢، ص ٤٩٤.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٤.

(٦) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٤٨.

(٧) ابن النديم، الفهرست، ص ١١٧.

وقال عنه ابن خلكان: "وكان أنسب العرب"<sup>(١)</sup>.

ومن النسابين القدامى . أيضاً . الحنّنف بن يزيد بن جعونة التميمي، كان معاصراً لدغفل، وقد جرت بينهما مساجلات ذكر الجاحظ طرفاً منها<sup>(٢)</sup>.  
وهناك نسابة آخر معاصر للاثنين معاً هو ابن الكيّس النسابة، واسمه مالك بن عبيد بن شراحيل بن الكيس، واسمه زيد النمري، من بني النمر بن قاسط<sup>(٣)</sup>، وقد أثنى عليه الدارمي بقوله:

وعند الكيّس النمري علمٌ ولو أمسى بمُنْخَرِقِ الشَّمَالِ<sup>(٤)</sup>

هذا غيضٌ من فيض في ذكر النسابين القدامى الذين وردت أخبارهم في المدونات العربية، فقد ذكرهم الجاحظ في (البيان والتبيين)، وابن النديم في (الفهرست)، وابن قتيبة في (المعارف)... وغيرهم كثير<sup>(٥)</sup>.

## ب- المرحلة الثانية (مرحلة التدوين):

إنَّ مرحلة التدوين هي المرحلة التي ظهرت فيها المؤلفات الخاصة بالأنساب العربية، وقد بدأت الخطوة الأولى في تدوين الأنساب في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين وضع ديوان العطاء؛ حيث قام بإنشاء ديوان الجند، فاستدعى عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وأمرهم أن

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت - لبنان ١٩٧٧م، ج٤، ص٨٦.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٣١٨.

(٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٣٠١. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج١، ص٥٤، ذكره باسم زيد وهو وهم منه إذ زيد هو جدُّ والملقب بالكيس ونسبه إليه.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢ - ٣.

(٥) ينظر: البيان والتبيين، ج١، ص٣١٨ وما بعدها / الفهرس، ص١١٧ - ١٤٥ / المعارف، ص٥٣٤ / ابن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق ك. و. سترستين، ط٢، صنعاء، ١٩٨٥م، ص١٦ وما بعدها، مقدمة الكتاب لصالح الدين المنجد. والنص، إحسان، القبائل العربية، ج١، ص٤٥ وما بعدها.

يكتبوا الناس على منازلهم<sup>(١)</sup>. صحيح أن هذا الديوان وُضِعَ على أساس قبليّ، ودوّنت فيه أسماء المقاتلين على حسب أنسابهم وقبائلهم، إلا أنه لم يكن كتاب أنساب على ما نفهمه من كتب الأنساب؛ حيث دونت فيه أسماء القبائل وبطونها وفروعها ومعلومات عن هذه القبائل .

وهكذا نجد أنه لم تبدأ عملية تدوين الأنساب الفعلية إلا بعد منتصف القرن الثاني الهجري، أي بعد قيام الخلافة العباسية . أما في العصر الأموي؛ فقد شهد في أواخره البدايات الأولى لتدوين الأنساب؛ حيث ظهرت طائفة من النسابين لم تذكر المراجع أن لهم كتباً في الأنساب، ومع ذلك فمن المرجح أنهم دونوا معارفهم في الأنساب التي استقوها من قدماء النسابين ومن نسابي القبائل وأخذها الناس عنهم، ولكننا لم نقف على ما دونوه؛ إما لأنهم لم يثبتوها في مصنفات يتداولها الناس، وإما لأن مصنفاتهم قد فُقدت<sup>(٢)</sup>.

ونذكر من علماء النسب في هذه الحقبة: عوانة بن الحكم الكلبي (ت ١٤٧هـ)، وهو من علماء الكوفة. كان راويةً للأخبار، عالماً بالشعر والنسب. وقد ذُكِرَ أن له كتباً في التاريخ وليس له مصنفات في الأنساب<sup>(٣)</sup>.

ولعل أعظم علماء النسب في هذه الفترة هو أبو النضر محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ)، كان إماماً في النسب والتفسير. ولم تصلنا مصنفات له في الأنساب، وإنما وصلتنا مصنفات ابنه هشام<sup>(٤)</sup>.

وأول مَنْ أخبرنا أنه صَنَّفَ كتاباً شاملاً في الأنساب . هو أبو اليقظان سحيم بن حفص (ت ١٩٠هـ)، كان عالماً بالأنساب، والأخبار والمآثر والمثالب،

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مصر، ١٩٥٦م، ص . والطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥٢٨ وما بعدها.

(٢) النص، إحسان، القبائل العربية، ج ١، ص ٥٧.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

وَتَقَّهَ العلماءُ ورووا عنه، وذكروا له من الكتب المصنفة في الأنساب: كتاب (خندف وأخبارها)، وكتاب (النسب الكبير)، إلا أن مصنفاته لم تصل إلينا، فضلاً عن وجود مصنفات له في موضوعات أخرى<sup>(١)</sup>. وقد بحثتُ عنها كثيراً في بعض الدول المجاورة لكنني لم أجدها.

ومن علماء النسب المعاصرين لأبي اليقظان أبو فيد مؤرِّج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥ هـ)، كان ممن سكن البصرة<sup>(٢)</sup>. وهو . فيما أعلم . أوَّل مَنْ وصلت إلينا مصنفاته في الأنساب، فقد صنَّف كتاب (حَدَف من نسب قريش)، وكتاب (جماهير القبائل).

وكذلك أبو البخترى وهب بن وهب بن كثير القرشي (ت ٢٠٠ هـ) في بغداد، له من كتب الأنساب: كتاب (طسم وجديس)، وكتاب (نسب ولد إسماعيل بن إبراهيم) عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الحقبة ظهر . أيضاً . أعظم مؤرخي ومؤلفي الأنساب العربية هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ)، الذي أخذ علم النسب عن أبيه وعن طائفة من العلماء. وله مؤلفات في النسب، منها: (جمهرة النسب)، وكتاب (النسب الكبير)، وغيرهما، فضلاً عن مؤلفات في غير الأنساب<sup>(٤)</sup>.

ومنذ القرن الثالث الهجري توالى التأليف في كتب الأنساب لعددٍ من العلماء، منهم: الهيثم بن عدي الثُّعَلِي (ت ٢٠٧ هـ)<sup>(٥)</sup>، وله مؤلفات كثيرة في

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٣. والحموي، معجم الأدباء، ج ١١، ص ١٨٠.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٧٠. والحموي معجم الأدباء، ج ١٩، ص ١٩٦. والسدوسي، مؤرخ بن عمر، حذف من نسب قريش من الحجم الصغير، وقد تم تحقيقه من قبل المحقق صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٧٦ م.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٤، ص ١٢٧.

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٨ - ١٢٩، له كتاب نسب طيء، كتاب المثالب، كتب في الأحلاف وغيرها كثير.



الأنساب وغيرها. وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ)<sup>(١)</sup>، والأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٣هـ). ولعلَّ أبرز علماء الأنساب في هذا القرن هما: الزبيريان: المصعب بن عبد الله الزبيري (ت ٢٣٣هـ)، والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ). فقد عنيًا بالأنساب، وخاصة أنساب قبيلة قريش التي ينتميان إليها، فصنَّف الأول كتاب (نسب قريش)<sup>(٢)</sup>، وألف الثاني كتاب (نسب قريش وأخبارها).

وقد ظهرت. أيضًا. في القرن الرابع للهجرة طائفة من العلماء صنّفوا وألّفوا في الأنساب، لكن فُقد الكثير منها. أما ما وصل إلينا منها فهو كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، فقد خصص بابًا كبيرًا من كتابه للأنساب<sup>(٣)</sup>.

أمَّا في القرن الخامس الهجري فقد برز عالمان أندلسيان اهتموا بالأنساب؛ الأول هو ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٧هـ) مؤلف كتاب (جمهرة أنساب العرب)<sup>(٤)</sup>، والثاني هو ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمرى القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، وألف كتابين في النسب، هما: (القصد والأمم)، و(الأنباه على قبائل الرواة)<sup>(٥)</sup>. وهكذا تواصل العمل في التأليف والتدوين بكتب الأنساب إلى الوقت الحاضر.

#### ٤- عوامل الاهتمام بعلم الأنساب:

(١) ابن النسيم، مصدر سابق، ص ٦٧. وقيل توفي سنة ٢٠٨هـ أو ٢٠٩هـ أو ٢١٠هـ، وله كتاب القبائل وكتاب الأوس والخزرج ومؤلفات أخرى كثيرة.

(٢) الزبيري، مصعب بن عبد الله، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر، ١٩٧٦م.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق مكتب دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٢٨. وقد بحث كثيرًا عن كتاب محمد بن مسلمة اليشكري المعنون بـ (أخبار خنعم وشعراؤها) مخطوط، لكنني لم أجده لا في العراق ولا في غيره من البلدان.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، حققه عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٢م.

(٥) ابن عبد البر، القصد والأمم، ومعه كتاب الأنباه على قبائل الرواة، تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٩.

لقد كان الناس في صدر الإسلام يتعلمون الأنساب كما يتعلمون الفقه، وكانوا إذا قصدوا سعيد بن المسيب للتفقه في الدين؛ قصدوا عبد الله بن ثعلبة ليأخذوا عنه الأنساب<sup>(١)</sup>، وكان الخلفاء الأربعة الراشدون رضي الله عنهم أنفسهم وكثير من الفقهاء . كانوا من أعلم الناس بالأنساب<sup>(٢)</sup>. وفي العصر الأموي ازداد الفخر بالأنساب والعناية بها. والحق: لقد كانت الدولة عربية خالصة؛ فحافظ العرب فيها على تقاليد الأنساب مما توارثوه في طباعهم وغرائزهم. وإن خلفاء بني أمية قربوا علماء الأنساب، كمعاوية بن أبي سفيان الذي قَرَّبَ دغفلاً النسابة<sup>(٣)</sup>، وعبيد بن شريحه الجرهمي. وتابع بقية الخلفاء على المنوال الذي اهتم به أول خلفاء بني أمية.

أما في العصر العباسي فقد ظهرت عوامل جديدة كان لها الأثر الكبير في جعل مؤلفات الأنساب تتجه اتجاهًا جديدًا، خاصة في عملية نقل الأنساب من الرواية إلى التدوين؛ حيث إنَّ الشعوب غير العربية قد دخلت بشكل كبير في الإسلام واختلطت بالعرب، مما أثر في الحفاظ على صفاء النسب، وبذلك ظهر من هؤلاء مَنْ كان أصله يهوديًا، فأخذ يطعن في الأنساب العربية<sup>(٤)</sup>، أو ممن لا نسب لهم<sup>(٥)</sup>.

كما أَلَّفَ عَلَّانُ الشعوبي . وأصله من الفرس، وقد كان عارفًا بالأنساب والمثالب . كتابًا في مثالب العرب، يسمَّى: (الميدان في المثالب)، هتك فيه العرب وأظهر مثالبهم، وكان مرتبطًا بالبرامكة من الفرس<sup>(٦)</sup> ولا يؤخذ به.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤-٥.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١١٧.

(٤) ذكر ابن النديم في الفهرست، ص ٥٨. أن معمر بن المنثى كان أبوه يهوديًا، وأنه قد أَلَّفَ في مثالب العرب.

(٥) كان الهيثم بن عدي التعلبي يطعن في نسبه (دعيًا)، وقد أَلَّفَ في مثالب العرب، ابن النديم، الفهرست، ص ١١٢.

(٦) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٥.

ومما لا شك فيه أن المكتبة العربية قد اغتنت بتدوين الأنساب غنائاً كبيراً، فقد ألفت في الأنساب مئات من الكتب لا يمكن للباحث حصرها وعدّها بشكل دقيق ونهائي<sup>(١)</sup>، بل نكتفي بما أشرنا إليه وأوردناه سابقاً .

## المبحث الرابع: تسمية قبيلة شهران العريضة الخثعمية ونسبها.

### معنى شهران :-

قال ابن دريد: اشتقاق (شَهْران) على وزن (فَعْلان) من أحد شيئين: إمّا من الشيء المشهور الظاهر، وإما من الأشهر: وهو البياض الذي حوّل صُفْرَهُ النَّرْجِسَ<sup>(٢)</sup>.

وجاء في معاجم اللغة في مادة (شَهْر): الشين والهاء والراء أصل صحيح، وإن الشَّهر والأشْهُر عدد، والشهور جماعة، والشُّهْرَة: ظهور الشيء، وتدل على وضوح في الأمر وإضاءة، ومن ذلك: الشُّهْر: وهو في كلام العرب: الهلال، ثم سُمِّي كل ثلاثين يوماً باسم الهلال ف قيل (شهر)، ورجل مشهور ومُشَهَّر، وقد شَهَّر فلان في الناس بكذا فهو مَشْهُور وقد شَهْرُوهُ، ويقال: أَشْهَرْنَا بالمكان، إذا أقمنا به شَهْرًا<sup>(٣)</sup>. والشَّهر معروف ورجل شهيرٌ ومشهورٌ بخيرٍ أو شرٍّ<sup>(٤)</sup>، والشَّهْرَة: ظهورٌ

(١) ابن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ص ١٠ وما بعدها، مقدمة الكتاب لصلاح الدين المنجد ذكر فيها عرضاً لأبرز وأهم المؤلفات في الأنساب العربية.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٥٢١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت ٣٩٥هـ) مجمل اللغة، تحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٥١٤.

(٣) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٥١٨. ابن منظور، محمد بن المصري الأفرقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، مادة (شهر). الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ، مادة (شهر).

(٤) ابن فارس، مجمل اللغة، ج ٢، ص ٥١٤ / ابن دريد، الاشتقاق، ص ٥٢١.

الشيء في شُفْعَةٍ حتى يَشَهْرَهُ النَّاسُ، وفي الحديث: (من لبس ثوبَ شَهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ ثوبَ مذَلَّةٍ)، والشَّهْرَةُ: الفضيحةُ، وأنشد الباهلي:

أَفِينَا نَسُومُ الشَّاهِرِيَّةَ بَعْدَ مَا      بَدَا لَكَ مِنْ شَهْرِ الْمَلَيْسَاءِ كَوُكْبُ؟<sup>(١)</sup>

إن اسم (شهران) ربما أطلق عليه لبياضه، أو لأنه رجل مشهور وفيه إضاءة. وهذا الاسم أصبح أبًا وجدًا أعلى وزعيم للقبيلة التي حملت اسمه، وهي قبيلة (شهران) الخثعمية<sup>(٢)</sup>، وشهران هو: ابن عفرس وحوله التف عليه إخوته ووصفوه زعيمهم أو رئيسهم.

### اسم شَهْرَانَ العَرِيضَةُ:

ذكرنا في الحديث عن قبيلة خثعم أن حُلْفَ بن حثعم كان له من الولد (عفرس)، واشتقاقه من العفرسة وهو الأخذ بالقهر والغلبة<sup>(٣)</sup>، وأن (عفرسًا) هذا كان له من الولد: شَهْرَان، وناهس، وكود، وربيعه، والحُبَيْني (الحُنَيْني)، وخُسيْف، ونُويْهش<sup>(٤)</sup>. وكرز، وأن كود قد تَخَالَفُوا مع ناهس<sup>(٥)</sup>. ولم تذكر كتب الأنساب شيئًا عن بقية أبناء عفرس وهم كل من: الحنيني، وخسيف، ونويهش، بل ذكرت أن (بني عفرس) هم: (شهران)، و(ناهس)، و(كود) وفيهم العدد، وإليهم شَرَفُ القبيلة الكبرى (خثعم)<sup>(٦)</sup>.

ويظهر أن أولاد (عفرس) الباقين والذين لم تُشَرِّ إليهم المصادر قد خلفوا ذرية ولم يأت لهم ذكر ولكن من سلالة ذرية (شهران) قد اشتهروا، وأن العدد

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة ( شهر ) وشهر المليساء : شَهْرُ بن الصَفْرِيَّة والشتاء، وهو وقت تنقطع فيه الميرة.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٨ ص ١٥٥ / الزبيدي، تاج العروس مادة (شهر).

(٣) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٥٢٠.

(٤) ابن الكلبي، نسب معدو اليمن الكبير، تحقيق/ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤ م، ص ٣٥٦؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٠؛ ابن عبد البر، الأنباه على قبائل الرواة ضمن كتاب القصد والأمم ص ٨٩ يقول (كود) بدلا من كرز وهو المشهور الآن.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب ص ٣٩٠.

(٦) ابن دريد، الاشتقاق ص ٥٢٠.

والشرف قد تَرَكَّز فيهم، وخاصة في (بني فُحَافَةَ)، بل إن بيت الشهرة للقبيلة والأصل الأعلى هو (خنعم) قد صار أكثره في فُحَافَةَ بن وهب الله بن شهران بن عفرس<sup>(١)</sup>، الذين هم من بني واهب بن شهران بن عفرس بن حلف، وبذلك أصبحوا متميزين عن الآخرين؛ مما دفعهم إلى التحالف والانضمام إليهم، فأصبح جميع أبناء (عفرس) ومن تناسل عنهم يحملون اسم (شَهْرَان)؛ وبهذا التوسع والتحالف صار الاسم (شَهْرَان العَرِيضَةَ)<sup>(٢)</sup> لكثرة العدد والاتساع وكبر الأرض ولموقعها الجغرافي من الشمال إلى الجنوب ووقوعها في أرض نجد لانبساطها بين بيشة والحجاز وتهامة، ولأنها معترضة لقبائل الحجاز الكبيرة من الجهة الشرقية مثل رجال الحجر وغامد وعسير وبالقرن والقبائل الأخرى.

ومن المؤكد أن شَهْرَان قد استقلت بعد هذا التحالف عن القبيلة الأصل أو الأم (خنعم)، وأنها سميت باسم (شَهْرَان العَرِيضَةَ) . وهي ليست تسمية حديثة كما يظن البعض، بل هي قديمة، وقد ذكرها الهمداني كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل.

ولا يُعَدُّ الهمداني أوَّل مَنْ ذكر (شهران العريضة)، بل وجدنا في المصادر ما يشير إلى وجود ذكر لـ (شَهْرَان العَرِيضَةَ) قُبَيْلَ وَأَثْنَاء البعثة النبوية الشريفة، حيث ذكرها فارس بن عامر وشاعرها عامر بن الطفيل في أبيات له قالها في الحرب التي قامت بين قبيلة (مذحج) ومعها شهران العريضة وزبيد وجعفي، ضد قبيلة بني عامر بن صعصعة ومَنْ تحالف معها في يومٍ عُرِفَ باسم (فَيْفَ الرِّيح)<sup>(٣)</sup>، ومما قال:

(١) ابن عبد البر، القصد والأمم، تحقيق/محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٨٩.

(٢) الهمداني، الإكليل، تحقيق/محمد بن علي الأكوع، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ج ١٠ ص ٣٣ والبلادي / المقدم

عاتق بن غيث، بين مكة وحضرموت، ص ١٧. آل طالع، قبيلة شَهْرَان، ص ١١.

(٣) فيف الرِّيح : الفَيْفَ : الأرض الواسعة وهو المكان المستوي وجمعه (أفياف) ومنه سميت الفيافي، وفيف الرِّيح : موضع

أعلى نجد يقع بين ديار بني عامر بن صعصعة وديار مذحج و خنعم. ينظر : البكري، ابو عبيد، معجم ما استعجم

، تحقيق/مصطفى السقا، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٣، ص ١٠٣٦ - ١٠٣٨. الحميري، نشوان بن سعد، شمس العلوم،

ج ٨، ص ٥٢٨٦.

فَجَاءُوا بِشَهْرَانِ الْعَرِيضَةِ كُلِّهَا وَأَكْلَبَ طُرًّا فِي لِيَّاسِ السَّنُورِ<sup>(١)</sup>.  
وأشار بعضهم إلى أَنَّ وَقْعَةَ (فَيْفِ الرِّيحِ) وَقَعَتْ وَقَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي  
مَكَّةَ<sup>(٢)</sup>.

وَأَرْجَحُّ أَنَّ شَهْرَانَ الْعَرِيضَةَ سَمِيَتْ بِهَذَا الْاسْمِ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ بِمَا تِي عَامٍ  
وَأَكْثَرَ تَقْرِيْبًا، حَيْثُ كَانَتْ رِحْلَتُهُمُ الْأُولَى مِنْ مَأْرَبِ قَبْلَ انْهِيَارِ سِدْهَا إِلَى حِجَّةِ  
(جَبَلِ كُشْرٍ) شِمَالِ شَرْقِ صَنْعَاءِ (٧٥ كَمِ تَقْرِيْبًا) وَيُوجَدُ فِي جَبَلِ كُشْرٍ وَمَا حَوْلَهُ  
قَبِيلَةُ شَهْرَانَ وَهُمْ مِنْ بَقِيَّةِ الرِّحْلَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ الرِّحْلَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى جَبَلِ كُشْرٍ مَنَازِلَ  
قَبِيلَةِ آلِ رَشِيدٍ حَالِيًّا فِي السُّعُودِيَّةِ وَكُشْرُ الَّذِي سَمَاهُ النَّبِيُّ ﷺ شُكْرًا وَهُوَ غَرْبُ جَبَلِ  
ضَمَكِ جَنُوبِ مَدِينَةِ خَمِيْسِ شَهْرَانَ فِي السُّعُودِيَّةِ ثُمَّ إِلَى بَلَادِ بَارِقِ بَتَهَامَةَ فِي حُدُودِ  
جِبَالِ الْحِجَازِ، وَهِيَ الرِّحْلَةُ الثَّلَاثَةُ ثُمَّ الرِّحْلَةُ الرَّابِعَةُ صَعَدَتْ السَّرَوَاتِ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ  
نَزَلَهَا، ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا لَوْقُوعِ عِدَّةِ مَعَارِكٍ مَعَ غَيْرِهِمْ مِنْ الْقَبَائِلِ فَرَحَلَتْ إِلَى بَيْشَةَ  
وَتِبَالَةَ وَتَرَجَ وَيَعْرَى وَتَوَسَّعَتْ فِي تَنْدَحَةِ وَخَمِيْسِ شَهْرَانَ وَشَعْفِ شَهْرَانَ وَتَهَامَةَ، وَهِيَ  
بَلَادٌ غَنِيَّةٌ بِالْمَوَارِدِ الزَّرَاعِيَّةِ الْهَامَةِ وَسَكَنْتَ فِيهَا قَبْلَ فِتْرَةِ زَمْنِيَّةٍ كَبِيرَةٍ وَمِنْ قَبْلِ الْبَعْثَةِ،  
وَهُنَاكَ تَكُونُ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ وَتَفَرَّعَتْ وَكَثُرَتْ بِطَوْنِهَا وَتَعْتَبِرُ الْقَبِيلَةَ الثَّانِيَةَ فِي الْمَنْطِقَةِ  
الْجَنُوبِيَّةِ بَعْدَ قَبِيلَةِ قَحْطَانَ.

---

(١) الحموي، معجم البلدان، مادة (فيف الرياح) وقد ورد البيت بصيغة أخرى في كتاب أيام العرب في الجاهلية للبحاوي  
وزملائه، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦١م، ص ١٣٦: أتونا بشهران العريضة كلها  
وأكلبها مثل بكر بن وائل.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفر يد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٢٣٥/ البكري، معجم ما  
استعجم، ج ٣ ص ١٠٣٨/ ج ٥ ص ٢٠٣.

## نَسَبُ شَهْرَانَ:

ورد في كتب الأنساب أن شهران هو ابن عفرس بن حُلْف<sup>(١)</sup> بن خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان<sup>(٢)</sup>، وعليه فإنه من سلالة (خثعم) ثم من (كهلان) ثم من قحطان.

والنسبة إليه (الشَّهْرَانِيّ) بتضعيف الشين وفتحها، مع سكون الهاء وبعد الراء ألف ونون.

وشهران العريضة هي البطن الرئيسي لخثعم بل وهي خثعم، ثم أصبحت فيما بعد قبيلة مستقلة منفصلة باسمها الجديد وبذاتها؛ لكثرة عدد أفرادها وتعدُّد أفرانها وبطونها<sup>(٣)</sup> وكبر حجمها واتساع أراضيها. وهنالك ملكان في اليمن يحملان نفس الاسم، الأول: الملك شَهْرَان بن نُهْفَان بن بتع بن زيد بن عمرو بن همدان، وهو أوسلة بن ربيعة بن الحيار بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ الذي كان ملكاً في اليمن<sup>(٤)</sup>. والثاني هو: شهران بن بينون<sup>(٥)</sup> بن منياف بن

(١) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، مختلف القبائل ومؤلفيها، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٦٥. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ج ٢، ص ٢١٦ (حلف) بفتح الحاء وسكون اللام وهو ابن خثعم واسمه أقتل أنمار / حُلْف : بضم الحاء وسكون اللام وقد ورد في بعض المصادر باسم (خلف) بفتح الحاء وكسر اللام وورد كذلك باسم (خَلْف) بفتح الحاء واللام وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه من كتب الأنساب واللغة. وذكر كل من ابن حبيب، مختلف القبائل ومؤلفيه، ص ٦٥، وابن الأثير، اللباب ج ٢ ص ٢١٦ (خَلْف) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهو ابن خثعم واسمه أقتل بن أنمار.

(٢) ابن حزم، علي بن محمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) جمهرة انساب العرب، تحقيق/ عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣٨٧.

(٣) الجاسر، حمد، في سرأة غامد وزهران، نصوص ومشاهدات، الرياض، (د.ت) ص ٤٦٠. آل طالع، عبد الكريم عايش سعيد، قبيلة شَهْرَان ما بين الماضي والحاضر، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٩.

(٤) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٦٠هـ) الإكليل، بغداد، ١٩٧٧م، ج ١، ص ٣٠ و ص ٤٠.

(٥) بينون : بضم النون وسكون الواو، اسم حصن عظيم في اليمن قرب صنعاء وهو من بناء بعض التابعة وله ذكر في أخبار حمير وأشعارهم / ينظر : الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) مادة (بينون).

شرحبيل بن ينكف بن عبد شمس الأصغر<sup>(١)</sup>، الذي قال فيه قُسُّ بن ساعدة الأيادي :

وَعَلَى الَّذِي مَلَأَ الْبِلَادَ بِحَيْلِهِ شَهْرَانَ مِثْلَ عَقِيْقَةِ الْمِصْبَاحِ<sup>(٢)</sup>

وهذان الملكان - وَمِنْ خِلَالِ شَجَرَةِ نَسَبِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ - يظهر لنا أنهم يرجعون بنسبهم إلى سبأ ثم إلى قحطان. فأما شهران بن عفرس فكان يسكن في منطقة شمال اليمن في البلاد التي تعرف باسم بلاد خثعم شَهْرَانَ التي هي الآن ما بين خميس شهران وبيشة والشعف وتهامة بالسعودية ، ويلتقي شهران بن عفرس مع شهران بن نُهْفَانَ فِي جَدِّ وَاحِدٍ هُوَ: كَهْلَانَ، بينما يلتقي مع الآخر في الجد الأعلى سبأ، في حين أن المملكين الآخرين استمر حكمهم في بلاد اليمن واتسع في الجزيرة العربية، فالأول من همدان والثاني من حمير، كما ذكرنا في نسبهما<sup>(٣)</sup>، ولم نسمع بأن من تناسل عنهما حمل اسم قبيلة تعرف باسم (شَهْرَانَ)، وتوضح لنا سلاسل النسب للأسماء الثلاثة أَنَّ شَهْرَانَ بن عفرس كان ظهوره قبل ظهور الملكين الآخرين، تلاه في الظهور شَهْرَانَ بن نُهْفَانَ بن بتع بن همدان بن كهلان، بعدهما ظهر شهران بن بينون بن حمير ابن سبأ وجميعهم يلتقي بالنسب في كهلان.

### منازل شَهْرَانَ العَرِيضَةَ:

تتداخل منازل شهران العريضة مع منازل خثعم بحيث من الصعوبة بمكان الفصل بينهما في التاريخ القديم، ولكن مع ذلك يمكننا أن نرسم بعض الحدود بين هذه المنازل : وحيث أن خروج اسم شهران من قبيلة خثعم الأم سبب اختلاف المواقع مؤقتًا في ذلك الزمن ، فشهران هو خثعم ، والقبائل لشهران هم أنفسهم ،

(١) الحميري، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، دمشق، ١٩٩٩م، ج ٦ ص

٣٥٦٧ وكذلك كتاب منتخبات في أخبار اليمن، دمشق، ١٩٨١م، ص ٥٨.

(٢) وقد قمت بعمل دراسة عن هذين الملكين والحضارة التي كانت في أيام حكمهما في كتاب مستقل لا زال تحت الطبع.

(٣) دراسة تاريخية في اليمن القديم للملكين شهران بن نُهْفَانَ وشهران بن بينون ، المؤلف علي بن سعد آل زحيفة ، الطبعة



ولكن لعامل الزمن ، حتى يكون الاسم واحد يستغرق طلب وقت أكبر ، وشهران  
وختعم في منطقة واحدة وهم أنفسهم ختعم وشهران ، وقد توحد الاسم في صدر  
الإسلام وبعده فأصبح شهران العريضة

قال الهمداني: بلد ختعم: "أعراض نجد وبيشة وترج وتباله والمراعة"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: "شهران في سراة بيشة وترج وتباله فيما بين جرش وأول سراة  
الأزد " : قال الشاعر :

وكندهُ تهذي بالوعيدٍ ومدحجٍ وشهرانُ من أهل الحجاز وواهبٌ<sup>(٢)</sup>

إن واهبًا المذكورة في هذا الشعر؛ هي قبيلة من سلالة شهران التي تسمى  
(شهران العريضة)، و هي بهذا الاسم في منازلها القديمة على ضفاف وادي بيشة<sup>(٣)</sup>  
حتى خيبر الجنوب . كما أن (ختعمًا) كانت تنزل في بلد يحمل اسم (بُعطان)،  
وهو أحد أعراض نجد الكبار وينسب هذا البلد إلى بيشة<sup>(٤)</sup>.

ويستطرد الهمداني في ذكر منازل وبلاد قبيلة ختعم وشهران العريضة منها  
فيقول: "سراة (عنز) وسراة (الحجر) بجُدّها ختعم وغورها بارق، ثم سراة (ناه) من  
الأزد وبنو القرن وبنو الخالد بنجدهم ختعم وغورهم قبائل من الأزد<sup>(٥)</sup>. ثم سراة  
(الحال) لشكر، نجدهم ختعم وغورهم قبائل من الأسد بن عمران"<sup>(٦)</sup>.

وذكر . أيضاً . أن "المحجر الأعلى والمحجر الأسفل والأكراب والنتار لبني  
منبه، وهم من ختعم وكلهم ثلاثة أبيات: بيتان من شهران، وبيت من جليحة،  
وهم في ناحية"<sup>(٧)</sup>.

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٨.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٨ / البكري، معجم ما استعجم، ج ١ ص ١٦ و ٣٣ و ٤١.

(٣) الهمداني، هامشه رقم (١) في كتاب صفة جزيرة العرب، ص ٨٨.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٨٠.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٠.

(٦) المصدر السابق، ص ١٣١.

(٧) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٨٢. وجليحه المذكورة هي من شهران العريضة.

وكانت (بلاع) في بلاد خثعم<sup>(١)</sup>. أما (الشقرة)<sup>(٢)</sup> فكانت (لبنى قحافة) من خثعم، وهم من أهم بطون شهران. ثم تأتي (بنات حرب) لبني جليحة، وكذلك (حسد) لبني الهزّر من خثعم<sup>(٣)</sup>.

وفي معرض وصفه لبعض الأماكن التي وجدت بها بعض المراكز الحضارية يذكر منطقة جرش قائلاً: "ويسكنها بنو عبد الله بن عامر من عنز بن وائلة، ثم تندحة، وهي العين من أودية جرش وفيها أعناب وآبار وساكنه بنو سامة من الأزدي، ورأيت بعضهم ينجذب إلى شهران العريضة، والعييا بلد مزارع لبني أبي عاصم من عنز بن وائلة، ويلبها وادي طلعان كثير المزارع لبني أسد من عنز، والقرعا لشبية من عنز، ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقى، وهم مسالمون وأصدقاء للعواسج من بني بجاد"<sup>(٤)</sup>.

ويبدو لنا من خلال كتاب الرسول ﷺ إلى قبيلة خثعم أنها كانت تنتشر في منازلها على وادي بيشة وسماهم: (الحاضر)، وعلى بادية وادي بيشة، أي داخل شبه جزيرة العرب بالسعودية باتجاه شرق وادي بيشة<sup>(٥)</sup> وجنوبه .

هذا وقد نزل (بنو مالك) من قبيلة شهران في (حلبا)، حيث كانت قبلة الحجر على هذا يمانيتها (مصال) لعنز ومن شاميتها (ألوس) و(الفرع) وهما من خثعم من شهران، ومشرقيها وما جاور بيشة من بلد خثعم وأكلب. أما (قطع) بين الحجر وبين بلد شُكر ففيه بطنان من قبيلة (خثعم)، يقال لهما: (الوس والفرع) فقطعته إلى تامة<sup>(٦)</sup>، وكذلك قبيلتي الريث والجليحة سكنتا تامة عسير.

(١) نفس المصدر، ص ٣٧٩.

(٢) الشقرة وهي منازل آل جلبان حالياً وهم من بني بجاد وعزوتهم خيال الشقرة

(٣) نفس المصدر، ص ٢٣١ الهامش رقم (٣).

(٤) جريس. غيثان، دراسات في تاريخ تامة والسراة، خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطه (ق:١ - ١٠هـ)، ط١ ١٤٢٤هـ، ص ١٤٥.

(٥) حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٥، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٢٤٧.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٤.

وكانت قبيلة شهران ترعى مراعيها في (الصحن) ، وهو من مراعيها قرب وادي بيشة، وتشاركها في هذه المراعي القبيلة الأم (ختعم)<sup>(١)</sup>. أما (يعرى) وهو من الوديان المعروفة، فكان لبني جليحة من ختعم وأجلتها ناهس عنه وفيه نخل وآبار<sup>(٢)</sup>. وقد أورد الهمداني أبياتاً شعرية لم ينسبها لأحدٍ من الشعراء ذكر فيها مواضع عدة، وهي:

للجسداءِ	شخصاً	للماء	فشقي شوقاً	إلى هيفاء
حوراءِ	بكرٍ	رشدةٍ	غراءِ	خمصانةٍ
كالدُّرِ	تجلو	سدَفَ	الظلماءِ	طافَتِ
فقلتِ	لما	ثاب	لي	عزائي
وخذاً	إلى	الأغلبِ	فالمرخاءِ	ثم العَصَارَ
				فإلى الميثاءِ <sup>(٣)</sup>

ويوضح لنا أنّ: الجسداءَ منهلٌ فيه بؤور، والأغلب والمرخاء: موضعان (وردت القصيدة الرخاء)، والغضار مثقل الضاد<sup>(٤)</sup> ومخففة، وعقبة الغضار مخنق مضيق، والميثاء موضع لقبيلة كود. وكل هذه المواضع قرب (يعرى) وهي لختعم<sup>(٥)</sup>؛ كود وناهس الشهرانية الختعمية .

### منازل شَهْران العريضة مرتبةً على حروف الهجاء :

ذكرنا منازل شَهْران العريضة ختعم بشكل إجمالي، وهنا نعرض منازل قبيلة شَهْران العريضة وختعم، مرتبةً هجائياً على النحو التالي:

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ وهي منازل قبيلة كود.

(٤) العَصَار : يعرف الآن بهذا الاسم بتخفيف الضاد.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٩ .

- ١- أَيْدُهُ: بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة ودال مهملة، ثم تاء مريوطة. منزل من منازل أزد السراة، وقيل: هي من ديار اليمانيين بين تهامة واليمن<sup>(١)</sup>.
- ٢- الأَطْهَار: هي قرية من نجران، وهي من أرض خثعم<sup>(٢)</sup>.
- ٣- الأَغْلَب: موضع في وادي يَعْرَى كانت لخثعم<sup>(٣)</sup>، وهو لقبيلة ناهس حالياً.
- ٤- الأَكْرَاب: موضع نزل فيه بنو منبه من شَهْران العَرِيضَة<sup>(٤)</sup>.
- ٥- البَدِيعَان: مثنيان، وهو موضع بالحجاز من ديار خثعم، قال هدبة بن خشرم<sup>(٥)</sup>:

وَقَدْ كَانَ أَعْجَازُ البَدِيعَيْنِ مِنْهُمُ وَمُفْتَرَقُ النَّقْعَيْنِ مَبْدَى وَمَحْضَرًا

وذكرهما كَثِيرٌ بلفظ الجمع، فقال: عَشِيَّةً جَاوَزْنَا نِجَادَ البَدَائِعِ<sup>(٦)</sup>

- ٦- بُعْطَان: بضم أوله وسكون ثانيه. هو وادٍ لخثعم شهران<sup>(٧)</sup> كانت تنزل فيه، وهو أحد أعراض بَنَد الكبار، وينسب هذا البلد إلى بَيْشَة<sup>(٨)</sup>.
- ٧- بِلَاع: تقع في بلاد خثعم شهران<sup>(٩)</sup>.

٨- بنات حرب: كانت من منازل (بني جليحة) من شَهْران<sup>(١٠)</sup>.

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧، وفي اللسان والتاج أَيْدَة : كسفية موضع بين تهامة واليمن قال الشاعر:  
فما أَيْدَة من أرض فأسكنها وإن تجاوَزَ فيها الماء والشجر

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٥) هُدْبَة بن خشرم بن كرز العذري القضاعي من سعد هذيم، شاعر فصيح من بادية الحجاز وهو من شعراء العصر الأموي. ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق/ احمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٤٩٧/الأصفياني، الأغاني، ج ٢١، ص ١٧٩ وما بعدها.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٢٣٣ و ج ٤ ص ١٣٢٢ ذكر (مَعْمَرًا) بدلاً من (مَحْضَرًا).

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٨٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٣١.

٩- بيشة: بكسر الباء، والشين المعجمة وآخره هاء، اسم وادٍ باليمن مشهور، وفيه قرية عَنَاء وتحمل الاسم والوادي، كثيرة الأهل من بلاد اليمن، فيها بطون من الناس من خثعم وهلال وسواءة بن عامر بن صعصعة، وسلول، وعقيل، والضباب، وقريش. وهي من عمل مكة تبعد عنها خمس مراحل. وقد نزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما حاذى تلك البلاد إلى أن ظهر الإسلام<sup>(١)</sup>. وذكر الهمداني ضمن بلاد خثعم بيشة<sup>(٢)</sup>، وأن شَهْران كانت تنزل فيها<sup>(٣)</sup>، وما كان جنوب مكة قيل: يمن؛ لأن صنعاء كانت أكبر مدن الجنوب، وهي في يمن الحرم الشريف.

١٠- تَبَالَة: بفتح أوله وثانيه وباللام على وزن (فَعَالَة)، تقع بالقرب من الطائف على طريق اليمن. مكة، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخًا نحو مسيرة ثمانية أيام، وبينها وبين الطائف ستة أيام، وبينها وبين بيشة يوم واحد، وهي بلدة صغيرة<sup>(٤)</sup> كما أنها مشهورة في بلاد عسير<sup>(٥)</sup>. وهي من بلاد قبيلة خثعم<sup>(٦)</sup>، وإن شَهْران تنزل في تبالة<sup>(٧)</sup>.

١١- تُرْبَة: بالضم ثم الفتح. هو وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها، وأسفله لبني هلال والضباب وسلول. وحواليه من الجبال منها جبلان يقال لهما: (سَوَان) وَاحِدُهُمَا (سَوَان). وهذه الجبال لخثعم وسلول وسواءة بن عامر بن صعصعة وعنزة، وهي جبال شوامخ وفيها الأعناب وقصب

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٣٠١. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٥) الحجري، القاضي محمد بن احمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق/اسماعيل الأكوخ، ط ١، صنعاء، ١٩٨٤ م، ج ١، ص ١٣٧.

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٨.

السكر وغير ذلك من النباتات . وذكر أنّ أعلى الوادي لختعم، وأنّ خثعمًا نزلت ما بين بيشة وتربة وما حاذى تلك البلاد إلى أن أظهر الله الإسلام<sup>(١)</sup>.

١٢- تَرْج: بفتح أوله وسكون ثانيه وبالجميم . هو وادٍ إلى جنب تبالة على طريق اليمن، وتَرْج وبِيشة: قريتان متقابلتان بين مكة واليمن، ووادي تَرْج هو من بلاد خثعم وإنه موضع بيشة<sup>(٢)</sup>. وهو منازل شَهْران في تَرْج<sup>(٣)</sup>، وحتى يومنا هذا.

١٣- جُرَش: بضم أوله وفتح ثانيه وشين معجمة . موضع معروف من مخاليف اليمن من جهة مكة، قيل: سميت بجُرَش بن أسلم الحميري، وهو أول من سكنها، وقيل: إن تبع أسعد بن كرب أسكن قومًا في هذا الموضع، وقال لهم: أجرشوا من هذه الأرض وأثيروها واعمروها، وهي من أرض الطُّود<sup>(٤)</sup>. وجُرَش رأس وادي بيشة<sup>(٥)</sup>، وقيل: سميت جُرَش باسم منبه بن أسلم بن زيد الحميري، وهو جُرَش، وقيل غير ذلك<sup>(٦)</sup>. وكانت قبائل العواشز تسكنها، وهم الآن بطن من بطون قبيلة بني بجاد من شهران.

١٤- جَسَدَاء: بالتحريك والمدّ . ويروى بضم الجيم . وهو موضع ببطن جِلْدان، قال لبيد : فَبِتْنَا حَيْثُ أَمْسَيْنَا قَرِيبًا عَلَى جَسَدَاءِ تَنْبُحْنَا الكِلَابُ<sup>(٧)</sup>

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٣٠٩. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣١.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٨٨.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٣٧٦. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٧-٤٨.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٩.

(٦) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٣٦.

(٧) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٨.

١٥- جِلْدَان: بكسر أوله وسكون ثانيه وبالذال أو الدال المهملة. هو موضع بالطائف<sup>(١)</sup>، وعليه يكون موضع جسداء بالطائف أو قريباً منه، وهو من منازل قبيلة شَهْرَان؛ حيث قد سكن فيه بنو جليحة من شَهْرَان العريضة<sup>(٢)</sup>.

١٦- حسد: كان ينزل فيها (بنو الهزُر) من خثعم<sup>(٣)</sup>.

١٧- حَلِيَّة: بالفتح ثم السكون وياءً خفيفة وهاء. وقد ظننت قبيلتنا: خثعم وبجيلة إلى جبال السراة فنزلناها وسكننا فيها، ثم إنَّ بجيلة قاتلت خثعم ورحلت عن تلك البلاد. وقال الشاعر سويد بن جُدعة البجلي من قصيدة له:

وَنَحْنُ نَقِينَا خَثَعَمًا عَن بِلَادِهِمْ      نُقَاتِلُ حَتَّى عَادَ مَوْلَى سَنِيذُهَا  
فَرِيقَيْنِ: فَرَقٌ بِالْيَمَامَةِ مِنْهُمْ      وَفَرَقٌ يَخِيفُ الْخَيْلَ تَتْرَى حُدُودُهَا<sup>(٤)</sup>

١٨- السَّرَاة: ذكر الهمداني عددًا من السروات كانت تنزل فيها خثعم وشَهْرَان، مثل: سراة عنز، سراة الحجر، وسراة ناه، وسراة الخال<sup>(٥)</sup>. وأوضح أنَّ خثعمًا وشَهْرَان كانتا تنزلان الجانب الشرقي من هذه السروات، وكانت تسمى: خثعمًا، وهي في السراة. وحينما نزلت بيشة وترج أبقت على اسمها خثعم ردحًا من الزمن ثم سميت باسم شهران العريضة. ولا تزال بقية من خثعم في السراة حتى يومنا هذا، ويشير الدكتور غيثان جريس إليها بقوله: "أما سراة عسير (عنز) فتحيط بمدينة أبها، وتشتمل على أشهر القبائل العسيرية... ويتبعها قبائل رجال ألمع في تهامة، وقد يدخل في هذه التبعية، من حيث الموطن الجغرافي لبعض قرى وأفخاذ وعشائر من

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣١.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٨. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٤ ذكر الاسم (حَلْبَا) وهو تصحيف وقد اشرنا إلى ذلك سابقا.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٣٠-١٣١.

قبائل شهران، ولاسيما القريبة منها بمدينتي أبها والخميس<sup>(١)</sup>.  
وكما يوجد فرع لقبيلة شهران في جبل كشر شمال صنعاء يُسمى شهران،  
وهم مَنْ تَبَقَّى من شهران بعد رحيلها، ولا زالوا إلى الآن يحملون نفس  
الاسم ، وعن أسباب التنقل والترحال لبعض القبائل منذ القدم، فلا غرابة  
في ذلك، فالتنقل والترحال من عادات العرب القديمة، بل انتقال الفخذ  
أو العشيرة من مكان إلى مكان كان من الحالات المألوفة عند العرب منذ  
عهود قديمة، إلى جانب وجود أسباب أخرى تجعل بعض العشائر ترحل  
من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى، كأن تهاجم قبيلة قوية أخرى  
ضعيفة فتجبرها على الرحيل، أو ترحل بعض العشائر، وبخاصة البدوية  
منها من مكان لآخر بحثًا عن الماء والعشب، الذي يفيدها في رعي  
مواشيها، أو حدوث نوع من الخصومة والشقاق بين أفراد العشيرة  
الواحدة، مما يؤدي إلى خروج بعضهم من مواطن العشيرة الأساسية،  
والبحث عن مكان آخر يعيشون به، وما نلاحظ في بلاد تهامة والسراة  
من تشابه في بعض أسماء القرى والأفخاذ المتفرقة، أو من توزع بعض أفراد  
القبيلة أو الفخذ الواحد في أكثر من مكان، سواءً كان بالأجزاء السروية  
المرتفعة، أو الهضاب والأودية الشرقية، أو ببعض الأجزاء الساحلية  
التهامية؛ ليس إلا نابعًا من حدوث بعض الأسباب الآنفة الذكر، والتي  
عاشها ومارسها سكان تلك البلاد منذ أزمنة بعيدة<sup>(٢)</sup>.

١٩ - الشُّقْرَة: بضم أوله وسكون ثانيه بعده راء مهملة. موضع فيه قرية<sup>(٣)</sup>.

(١) جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، ص ١٣٨.

(٢) جريس، دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري حتى العاشر  
الهجري، ط ١ مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٢٨٠.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٨٠٥. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٩.



وكان (بنو قحافة) من شَهْرَانَ العريضة ينزلون فيه<sup>(١)</sup> وهي الآن منازل بني بجاد.  
٢٠- الصَّخْن: مرعى يقع قرب وادي بيشة، وكانت منازل قبيلة شهران تنتشر فيه<sup>(٢)</sup>.

٢١- صَنَاع: هو وادٍ يسكنه بنو صريم من أودٍ، وقد انتسبوا في بني بلحارث بن كعب، وهناك معهم أخلاط من بني منبه. وهم من شَهْرَانَ<sup>(٣)</sup>، وصناع - أيضاً- من الجبال المشهورة في السراة، وهو -أيضاً- فيه حصنٌ مشهورٌ يحمل اسم الجبل<sup>(٤)</sup>.

٢٢- صنان: كانت من منازل قبيلة خثعم<sup>(٥)</sup>.

٢٣- العَبْلَاء: بفتح العين وسكون الباء ثم المد، وقيل: هو العبلات، وهي بلدة لخثعم كان بها صنمهم المعروف (ذو الخَلَصَة)، وهي من أرض تباله<sup>(٦)</sup>، وهي منازل قبيلة الفرع بن شهران.

٢٤- عِشَار: بكسر أوله على لفظ جميع (عُشراء) من الإبل، وهو موضع من أرض خثعم، قال السُّلَيْك بن السُّلَكَة :

فَهَذِي مُدَّةٌ خَمْسٌ وِلاءٌ      وَسَادِسَةٌ عَلَيَّ جَنْبِي عِشَارٍ<sup>(٧)</sup>

٢٥- عُضَار: بضم أوله وأخره راء، قال البكري: هو بلد بالبادية<sup>(٨)</sup>، وقال الحموي: اسمُ جَبَلٍ<sup>(٩)</sup>، وأشار الهمداني إلى أنّ عقبة الغضار مخنق

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩١٨. الحموي، معجم البلدان، ج ٦، ص ٢٩٥.

(٧) البكري، معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٩٤٤.

(٨) المصدر نفسه. ج ٣، ص ٩٩٩.

(٩) معجم البلدان، ج ٦، ص ٣٩٠.

مضيق، وأنه موضع في وادي يَعْرَى كان لبني جليحة من شَهْرَان العَرِيضَةِ<sup>(١)</sup>. وهو الآن لناهس بن عفرس .

٢٦- قَطْع: موضع يقع بين الحِجْر وبين بلد شَكْر. سكن فيه بطنان من قبيلة خثعم، وهما: (أَلُوس) و(الفَزَع) من بني شَهْرَان العَرِيضَةِ<sup>(٢)</sup>.

٢٧- المتار: موضع نزل فيه بنو منبه من شهران خثعم<sup>(٣)</sup>.

٢٨- المَحْجَر الأَعْلَى والمَحْجَر الأَسْفَل: كانا لبني منبّه من خثعم، وقد نزل فيهما ثلاثة أبيات من شَهْرَان العَرِيضَةِ: بيتان من شهران، وبيت من جليحة، وهم في ناحية<sup>(٤)</sup>.

٢٩- المرخاء: موضع في وادي يَعْرَى تنزله خثعم<sup>(٥)</sup>، وهو -حاليًا- يخص قبيلة ناهس.

٣٠- مَطْلُوب: بفتح أوله وسكون ثانيه. ذكر لنا الحموي أنه: اسم موضع بوادي بيشة، عُمِّرَ في أيام هشام بن عبد الملك، وسمِّي باسم (المعمل). وقال رجل من بني هلال اسمه رياح:

يَا أَثْلَتِي بَطْنِ مَطْلُوبٍ هَوَيْتُكُمْ لَوْ كَانَتْ النَّفْسُ تُدْنِي مِنْ أَمَانِيهَا<sup>(٦)</sup>

وهو موضعُ أشار إليه البكري، واستشهد بيت شعر للأعشى:

يَا رَحْمًا قَاظَ عَلَيَّ مَطْلُوبٍ يُعْجِلُ كَفَّ الخَارِي المَطْيَبِ<sup>(٧)</sup>

أمَّا سببُ تحويل اسمه من (مطلوب) إلى اسم (المعمل) فقد ذكر لنا

الحموي تفصيل ذلك، فقال: "كان أول أمر المعمل أنه كان بِنِيٍّ من بيشة

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) نفس المصدر، ص ٣٧٩.

(٦) الحموي، معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٨٣.

(٧) البكري، معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٤٠.

بين سلول وحثعم، فيحفر السلوليون ويضعون فيه الفسيل، فيجيء الخثعميون وينتزعون ذلك الفسيل ويهدمون ما حفر السلوليون، ويفعل مثل ذلك الخثعميون فيزيلون الفسيل، ولا يزال بينهم قتال وضرب، فكان ذلك المكان يسمى (مطلوبًا). فلما رأى ذلك العجيز السلولي<sup>(١)</sup> الشاعر تَخَوَّفَ أن يقع بين الناس شرُّ هو أعظم من ذلك، فأخذ من طينه ومائه، ثم ارتحل حتى لحق بهشام بن عبد الملك ووصف له صفته، وأتاه بمائه وطينه . وماؤه عذب . فقال له هشام: كم بين الشمس وبين هذا الماء؟ قال: أبعد ما يكون بعده. قال: فأين هذا الطين؟ قال: في الماء. وأخبره بماء جوف بيشة... وأخبره بما في بيشة من النخيل والأودية التي معها من النخل والفسيل، وأخبره أن ذلك يحتمل نقل عشرة آلاف فسيلة في يوم واحد. فأرسل هشام إلى أمير مكة أن يشتري مائتي زنجي ويجعل مع كل زنجي امرأته، ثم يحملهم حتى يضعهم بمطلوب وينقل إليهم الفسيل فيضعونه بمطلوب، فلما رأى الناس ذلك قالوا: إنَّ مطلوبًا معملٌ يُعْمَلُ فيه، فذهب اسمه (المعمل) إلى اليوم<sup>(٢)</sup>.

٣١- الميثاء: موضع يقع قرب وادي يَعْرَى كانت قبيلة خثعم تنزل فيه<sup>(٣)</sup>. وهو لقبيلة كود حاليًا .

٣٢- يَعْرَى: من الوديان المعروفة، كان لبني جليحة من شَهْران، والآن تملكه قبيلة ناهس. وفيه نخل وآبار، وقد ذكره الشاعر أحمد بن عيسى الرِّداعي؛ حيث قال:

(١) العجيز السلولي : هو ابن عبد الله ابن عبيده السلولي، شاعر إسلامي مُقِلٌّ من شعراء العصر الأموي ونسبه إلى بني سلول وهم ولد مرة بن صعصعة أخي عامر بن صعصعة وأمهم سلول بنت ذهل بن شيبان بما يعرفون. ينظر:

الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ٣٩. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ١٣١.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٩.

حَتَّى أَتَتْ يَعْزَى نَوَاجٍ مُعْمَلَةً وَتَحْتَ رَحْلِي عَنْتَرِيَسَ عَنَسَلَةَ<sup>(١)</sup>

وَعَلَّقَ مُحَقِّقُ كِتَابِ الصَّفَةِ عَلَى (يَعْزَى) بِقَوْلِهِ: "وَيَعْزَى بِالْيَاءِ وَالرَّاءِ مَفْتُوحَةً  
فَأَلْفٌ مَقْصُورَةٌ، لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا لِقَبِيلَةِ نَاهَسٍ"، وَهُوَ مِنْ شَهْرَانَ الْعَرِيضَةِ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٦. العنتريس : الناقة الغليظة الصُّلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم وقد يوصف  
بها الفرس، قال أبو داود يصف فرساً : كل طرفاً موثقٍ عنتريس مستطيل الاقرب والبلعوم  
والعنسلة : الناقة القوية السريعة/ ابن منظور، لسان العرب (عترس - عنسل) وكذلك الزبيدي، تاج العروس (عترس).  
(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٧٦. هامش رقم (٢)، وكذلك ص ٣٧٩ لنفس المصدر، هامش رقم (٢) أيضاً.  
٧٣



منازل قبيلة شهران الخثعمية  
وقبائل الأزدي عند ظهور الإسلام

## المبحث الخامس :حروب شهران العريضة مع الأحباش وعلاقتها بقبائل اليمن قبل الإسلام.

### ١- تصدي شهران للأحباش دفاعاً عن بيت الله الحرام :

تمكَّنت الدولة الحبشيَّة من بسطِ نفوذها على بلاد اليمن بعد حروبِ طاحنة<sup>(١)</sup>، وبعد انتصارها على ذي نواس صاحب الأخدود بنجران؛ فقد أرسل النجاشي جيشًا بقيادة أرياط ومعه أبرهة.

وبعد هزيمة ذي نواس حاكم نجران الذي التقى بهم على سواحل اليمن .  
تقاتل القائدان أبرهة وأرياط، فضرب أرياط أبرهة فشق وجهه وأنفه، وشرمه فسمي بإبرهة الأشرم، وضرب أبرهة أرياط فقتله وصار الجيشان تحت قيادة أبرهة الأشرم. وممقتل أرياط تمكَّن أبرهة الحبشي من أن ينفرد بحكم بلاد اليمن<sup>(٢)</sup>، فقام ببناء كنيسته التي عُرفت باسم (الْقُلَيْس) <sup>(٣)</sup>، قال ابن كثير نقلاً عن السهيلي: "وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخامًا وأحجارًا وأمتعة عظيمة، وركب فيها صلبانًا من ذهب وفضة، وجعل فيها منابر من عاج..."<sup>(٤)</sup>. وكان بناؤها مما لم يُر مثله في ذلك الزمان، ثم كتب إلى النجاشي: "إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَنِيسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلَهَا مَلِكٌ كَانَ قَبْلَكَ، وَلَسْتُ بِمَنْتِهِ حَتَّى أَصْرِفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ [أي: إنه سيمنع العرب من حج بيت الله الحرام]، فلما تحدَّتِ العرب بكتاب أبرهة ذلك

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٠. الطبري، تاريخ، (تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم) المكتبة التوفيقية،

مصر (بدون تاريخ)، ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٤ وما بعدها. الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) القُلَيْس : يضم القاف وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء ينظر : الحموي، معجم البلدان، ج ٧، ص ٨٦

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٥٥٥.

إلى النجاشي غضب رجل من النساء<sup>(١)</sup>، أحد بني فقيم بن عدي بن عامر الكناني<sup>(٢)</sup>.

وتوجه إلى اليمن وأتى القُلَيْس فقعد فيها<sup>(٣)</sup>، ثم خرج فلحق بأرضه، فلما بلغ الخبر إلى أبرهة غضب لذلك وحلف ليسيرنَّ إلى الكعبة حتى يهدمها، ثم أمر الجيش فتجهزوا وساروا ومعهم الفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا به ورأوا جهادَهُ حقًا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام<sup>(٤)</sup>.

وهنالكَ رواية أخرى أوردها الطبري عن ابن عباس وغيره، قال فيها: إن أبرهة لما رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام، فسأل أين يذهب الناس؟ فقالوا: يحجون إلى بيت الله في مكة. قال: مم هو؟ قالوا: من حجارة. قال: فما كسوته؟ قالوا: ما يأتيها هنا من الوصائل. قال: والمسيح لأبْنَيْكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ. فبني لهم بيتًا عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاه بالذهب والفضة، وحقَّه بالجوهر، وجعل له أبوابا... وجعل له حجائبًا... وأمر الناس فحجوه، فحجَّه كثيرٌ من قبائل العرب سنين، ومكث فيه رجالٌ يتعبدون ويتأهلون ونسكوا له، وكان نفيل بن حبيب الشهراني الخثعمي يؤرض<sup>(٥)</sup> له ما يكره، ومعه نفر من خثعم، فلما كان ليلة من الليالي لم يرَ أحدًا يتحرك. يعني نفيل بن حبيب. فقام فجاء بعدرة فلطخ بها قبلته وجمع جيفًا فألقاها

---

(١) النساء: من النسبيء وهو أن العرب ينسبون الشهور فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل لذلك حرمه الله عز وجل بقوله ((انما النسبيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله)) [التوبة: ٣٧].

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٦.

(٣) القعود: بمعنى الإحداث. أي أحدث فيها. وهو من النجاسات التي نهي عنها الإسلام في القعود على المقابر

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٨ - ٧٩. الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٣٧؛ ابن حبان، الأمام الحافظ، أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت ٣٥٤هـ)، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تصحيح السيد عزيز بك وزملاؤه، ط ١، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٥.

(٥) يؤرض: تأرض بمعنى تعرض / الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم، ج ١، ص ٢٤١.

فيه وهرب ورجاله، فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً وقال: إنما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم، لأنَّ قُضْنَهُ حَجراً حَجراً<sup>(١)</sup>.

إن هذه الرواية تجعل (قبيلة شَهْرَانَ الخثعمية) ممثلة بنفيل بن حبيب الشهراني هم الذين دَنَسُوا القُلَيْسَ واحتقروها غضباً لبيتهم المحرم؛ وأرجح هذا لأن نفيل ومعه قبيلتي شهران وناهس التقوا مع أبرهة في المعركة المشهورة فهذا ترجيحي؛ لذلك خرج أبرهة بجيشه وقبيلته متوجِّهًا إلى بيت الله الحرام، فأخذت الغيرة والحمية أشراف وأهل اليمن، فواجهه أحدُ ملوك اليمن من همدان بصعدة، وهو (ذو نَفَرٍ) بقومه وَمَنْ أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده دفاعًا عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وخرابه، فأجابه إلى ذلك مَنْ أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهُزِمَ (ذو نفر) ومن معه وأخذه أبرهة أسيرًا<sup>(٢)</sup>.

ثم مضى أبرهة على وجهته تلك يريد تحقيق هدفه الذي خرج من أجله، متجهًا نحو الشمال خارجًا من صعدة ثم ظهران ثم السراة ثم الهضب. حتى إذا كان في بلاد شهران الخثعمية عرض له نفيل بن حبيب بن عبد الله بن جزئ بن عامر بن مالك بن وهب بن الحارث بن ربيعة بن أكلب بن عفرس بن حُلْف بن خثعم<sup>(٣)</sup> في قبيلتي: (شَهْرَانَ وناهس)، ومن تبعه من قبائل العرب. فقاتله فهزمه أبرهة<sup>(٤)</sup> وكانت هذه الواقعة في مكان شرق يعرى وبالتحديد في القاعة وادي نخلة

---

(١) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٩؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٣٨.

(٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩١.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٩؛ الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١٠٩؛

الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٣٨؛ ابن حبان، السيرة النبوية، ص ٣٥.



ولا تزال القبور وموقع المعركة قائم حتى تاريخه وقد قمت بتصويره كاملاً وقد حددته سابقاً<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ انتصار أبرهة على (ذي نفر) ومن بعده على (نُفيل بن حبيب) إنما كان سببه هو أن العرب لم تجمع لأبرهة جيشاً يعادل جيشه في العُدّة والعدد والتهيؤ لمثل هذا القتال، حيث ورد في شعر لعبد الله الزبَعْرَى بن عَدِيّ السهمي القرشي شعراً حول حادثة الفيل ، وفيه ذكرٌ لعدد جيش أبرهة وأنه كان يزيد على ستين ألف مقاتل وشهران تقريباً سبعة آلاف مقاتل، وقد قال عبد الله الزبَعْرَى:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى	وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سُتُونَ أَلْفًا لَمْ يَثُوبُوا أَرْضَهُمْ	وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهِ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا <sup>(٢)</sup>

بل إنهم قاتلوه منفردين مما سهل عملية انتصار أبرهة عليهم، وقد كان عدد قوة شهران ما يتجاوز سبعة آلاف رجل، وقد قال نفيل بن حبيب: أيها الملك لا أعرف بعد الطائف شرع فخذ غيري وهو يعرف.

وليس أدل على ذلك ممّا فعله مسعود بن معتب بن مالك بن كعب ومعه رجال من قبيلته، فعندما وصل أبرهة إلى الطائف استسلموا له ولم يقاتلوه وخرجوا إليه وقالوا له: "أيها الملك، إنما نحن سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريده - يعنون: اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة،

---

(١) حيث ترى هناك صورةً لموقع المعركة، وقيور موتى شهران، وقيور الأحباش. فتجد أنّ قبر الشهراني له نصائب على القبر علاماتواحبشي مستوي بالأرض، كما أنّ قيور قبيلة شهران فوق الجبال؛ فإنهم كانوا يضربون خراطيم الفيلة بالرمح والسيوف ويُقتلون هناك فتكون موقع قيورهم وقمت بتصويرها..

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٩١-٩٢ والشعري: اسم النجم، وهما شعريان، إحداهما القميصاء وهي التي في ذراع الأسد والأخرى التي تتبع الجوزاء، وهي أضواء من الضياء

ونحن نبعث معك من يدلك عليه. فتجاوز عنهم... فبعثوا معه أبا رغالٍ يَدُلُّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله (المغمس) <sup>(١)</sup>، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت العرب قَبْرَهُ، فهو القبر الذي يرجمه الناس بالمغمس" <sup>(٢)</sup>.

وكان حال أهل مكة كذلك، إذ همت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك لله سبحانه <sup>(٣)</sup>. فلو اجتمع ذو نفر ونفيل بن حبيب وثقيف وقريش ومن معها سوياً وقاتلوا أبرهة جميعاً لكان الموقف قد اختلف، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، حيث قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ - ٥] كان أبرهة الحبشي قد أخذ معه نفيل بن حبيب - وهو طليقٌ - يسيرُ مع الجيش، أما موقفه مع أبرهة وقوله له: "أيها الملك لا تقتلني؛ فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم: شهران و ناهس بالسمع والطاعة" <sup>(٤)</sup>، فإنه لم يكن ذلك رغبةً منه في مساعدة أبرهة في هدم البيت بقدر ما هو بُعْدُ نظرٍ منه واستبقاء حياته وحياة قومه من القتل؛ إذ أن الأحداث اللاحقة وضّحت لنا هذا الأمر. فلو كان ذلك رغبةً منه وطاعة له لما تعرض للقلبيس. كما ذكرنا. ولما قاتله وجمع له من جمع من شهران العريضة ولما لوث كنيسته بصنعاء.

(١) المغمس: بكسر الميم المشددة ويروى بالفتح وهو موضع بطريق الطائف للذهاب إلى مكة على بعد ثلثي فرسخ من مكة.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٧-٤٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٨.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٩؛ الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١١٠؛ ابن

حيان، السيرة النبوية، ص ٣٥.

وصل أبرهة بجيشه إلى مكة وجرى له ما جرى مع سيد قريش وكبيرها عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي جد النبي ﷺ؛ حيث أخذ أبرهة إبل عبد المطلب، وحين المقابلة طلب عبد المطلب إبله، فقال له أبرهة: تطلب إبلك وتترك بيتاً هو دينك ودين آباءك قد جئتُ لهدمه لا تكلمني فيه! قال له عبد المطلب: إني أنا ربُّ إبلي، وإنَّ للبيت ربًّا سيمنعه ويحميه.

ثم إنه لما رأى إصرار أبرهة على هدم البيت انصرف إلى قريش وأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج والتحرز في شَعَفِ الجبال والشعاب، وقام هو فأخذ بخلقة باب الكعبة فقال:

لأهمَّ إن العبد يمنع رَحْلِكَ لَهُ فامنع حلالكلا يغلبنَّ صليبيهم

إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَقَبِلْتَنَا فَمُرُّ مَا بَدَا لَكَ<sup>(١)</sup>

ثم تحرك أبرهة بجيشه صباحاً نحو مكة وتحمياً لدخولها بعد أن جهَّز جيشه وقَدَّم فيله وكان اسم الفيل (محمود)، وهو مجمعٌ لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن. فلَمَّا وَجَّهوا الفيلَ نحو مكة أَقْبَلَ نُفَيْلُ بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال: أبرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت؛ فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل وخرج نُفَيْلُ بن حبيب يشتدُّ حتى أَصْعَدَ في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بـ (الطَّبْرَزين)<sup>(٢)</sup> ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن — وهي عصا معوجة وقد يجعل في طرفها حديد — في مَرَاقِهِ فبزغوه فيها<sup>(٣)</sup> ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٤-٨٥؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٤٢.

(٢) الطَّبْرَزين: آلة حديدية تشبه الفأس وهي كلمة فارسية تعني الفأس وقيل الطَّبْرَزين بفتح الباء، السهيلي، الروض

الأُنْفُ في شرح السنة النبوية، نقله/ طه عبد الرؤوف، مصر، ١٩٧٢م، ج ١، ص ٢٧٠.

(٣) مَرَاقِهِ: تعني أسفل بطنه، وبزغوه: تعني أدموه ومنه المبزغ وهو المشروط للحجامة ونحوه/ السهيلي، الروض الأُنْفُ، ج

١، ص ٢٧٠.

مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك متجهًا إلى جبل كعب والقبلة في ظهره.

وهنا يظهر لنا جليًا دور نفيل بن الحبيب الشهراني الحثعمي؛ إذ يبدو أن دوره ديني بحت من خلال همسه بأذن الفيل ما همس أو أنه من الأحناف الذين رفضوا عبادة الأوثان، فإن فَعَلَهُ يشبه فعل عبد المطلب بن هاشم الذي توجه بالدعاء إلى الله، فإن نفيل دعا الله من خلال همسه بأذن الفيل. وقد استجاب الله لهما فأرسل (سبحانه وتعالى) على أبرهة طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك وليس كلهم أصابت. وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي جاءوا منه، ويسألون عن نفيل بن حبيب<sup>(١)</sup>.

وقد سجل القرآن الكريم هذه الواقعة وهلاك أبرهة وجيشه، ووصفهم بأصحاب الفيل، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ - ٥]

وسبق أن ذكرنا أن نفيل بن حبيب بعد أن همس بأذن الفيل كان قد صعد إلى الجبل ورأى ما أنزل الله بأبرهة وجيشه من نعمته (عز وجل)، فأبدى ارتياحه لاستجابة الله لدعائه. ويتضح لنا ذلك من قوله:

أين المفترُّ والإله الطالبُ والأشرُّ المغلوبُ لئسَ الغالبُ<sup>(٢)</sup>

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٦؛ الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٧؛ الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١١٤؛

الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٤٠.

لم يكتف نفيل بن حبيب بهذا البيت الذي عبّر فيه عما في داخله وإيمانه  
بالله، وهو قول يطابق قول عبد المطلب حيث دعا الله عز وجل حيث قال<sup>(١)</sup>:

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ      يَا رَبِّ فَاَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ      اَمْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِئُوا قُرَاكَ

ثم قال أيضا<sup>(٢)</sup>:

لَاهُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْدٌ      لَهُ فَامْنَعُ حَلَالُكَ  
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ      وَمَحَالُهُمْ غَدَوْاً مَحَالُكَ  
فَلَأَنْ فَعَلْتِ فَرِيْمَا      أَوْلَى فَاْمُرُّ مَا بَدَا لَكَ  
وَلِإِنْ فَعَلْتِ فِإِنَاهُ      أَمُرُّ تَمَّ بِهِ فَعَالُكَ  
جَرَوْا جَمْعَ بِلَادِهِمْ      وَالْفَيْلُ كَيْ يَسْبُو عِيَالُكَ  
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ      جَهَالاً وَمَا رَقَبُوا جَلَالُكَ

لذلك فإن نفيل بن حبيب بعدما رأى ما حلّ بأبرهة وجيشه وهم يسألون  
عنه، قال:

أَلَا حَيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا<sup>(٣)</sup>      نَعْمَانُكُمْ<sup>(٤)</sup> مَعَ الْأَصْبَاحِ عَيْنَا  
أَتَانَا قَابَسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً      فَلَمْ يُقَدَّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا  
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ - وَلَمْ تَرِيهِ      لَدَى جَنْبِ الْمِحْصَبِ<sup>(٥)</sup> مَا رَأَيْنَا

(١) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ وفيها تكرار لما ذكرنا له من أبيات سابقة.

(٣) ردين : ترخيم لاسم ردينة وهو اسم امرأة كثيراً ما ذكرها الشعراء.

(٤) هذا دعاء يريد به : أي نعمنا لكم.

(٥) المحصب : بضم الميم وفتح الحاء موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى اقرب ويسمى بطحاء مكة . الحموي،

معجم البلدان، (المحصب)

إِذَا لَعَدْتَنِي وَحَمَدتْ أَمْرِي      ولم تَأْسِيْ عَلَى مَا فَات بَيْنَا<sup>(١)</sup>  
 حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا      وَخَفْتُ حَجَارَةً ثَلَقَى عَلَيْنَا  
 وَكَلَّ الْقَوْمُ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ      كَأَنْ عَلِيًّا لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا<sup>(٢)</sup>

في هذه الأبيات الشعرية يتأكد لنا أن نُفَيْل بن حبيب الشهراني الخثعمي كان من الذين يُؤْمِنون بالله، ثم إِنَّه حمد الله على مَا رَأَى بما حلَّ بالأحباش. كما أَنه يُؤكِّد ما سبق أَن قلناه من أَنه لم يقل ما قاله لأبرهة إلا لغايةٍ هو يريدُها؛ لذلك أَخبر أَنه لما حلَّ بالأحباش ما حلَّ أَخذوا يسألون عنه، وكان لهم عليه دينًا. بقيت لي كلمةٌ أخيرةٌ في هذا الموضوع، وهو تاريخ وقوع هذه الحادثة. فأكثر المصادر تشير إلى أن مولد النبي ﷺ كان في عام الفيل<sup>(٣)</sup>، وبهذا القول فإنهم جعلوا عام الفيل سنة ٥٧١م.

وفي هذا القول تجاوزُ للحقيقة، وخلاف للمصادر التاريخية الأخرى؛ فقد ورد في (نقش أبرهة) أن حملته على مكة حدثت في سنتي ٥٥٢م أو ٥٥٤م<sup>(٤)</sup>، وأن هذا النقش جاء مطابقًا لما ورد في المصادر التاريخية العربية الإسلامية، إذ ذكرت أن قصة أصحاب الفيل كانت في أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وثمان

(١) بَيْنَا : مصدر الفعل (بان يبين)

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٧؛ الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١١٤؛ الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٥؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري. الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ، ج ١، ص ٨٠. السهيلي، الروض الأُنْف، ج ٢، ص ١٥٨-١٥٩.

(٤) العسلي، خالد، حملة الفيل، صورة من الصراع العربي الحبشي، بحث منشور في جمعية المؤرخين والأثاريين العراقيين، العدد الثاني، العراق، ١٩٨٢م، ص ١٨١؛ أبو الغيث، عبد الله، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، صنعاء، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٥٦ يقول: هنالك من الدراسات ما يشير إلى أن الحملة تمت قبل ٢٣ عاما من مولد الرسول (ص).

مئة من تاريخ ذي القرنين<sup>(١)</sup>، وأن ذا القرنين المذكور هو الإسكندر المقدوني الذي غزا بلاد الشام عام ٣٣١ ق.م<sup>(٢)</sup>. فإذا ما أجرينا عملية حسابية بطرح هذا التاريخ الذي غزا فيه الإسكندر بلاد الشام وسنة وقوع حادثة الفيل ظهر لنا أن التاريخ يصادف سنة ٥٥١م، وهذا مقارب جدًا للأحداث والحقائق التاريخية.

وهناك مَنْ ذكر أن مولد النبي ﷺ كان بعد حادثة الفيل بثلاث وعشرين سنة<sup>(٣)</sup>، وهذا القول يتطابق مع الحقيقة التاريخية، فبعد إضافة هذه السنوات بعد عام الفيل إلى سنة وقوع حادثة الفيل، يكون مولد النبي ﷺ سنة ٥٧٠م أو ٥٧١م.

من خلال تحديد تاريخ حادثة الفيل نجد أن هناك تطابقًا مع سلاسل النسب لكل من: عبد المطلب بن هاشم القرشي، ونفيل بن حبيب الشهراني الخنعمي، وأنَّ هذا التحديد يفيدنا في تحديد تاريخ ظهور قبيلة شَهْرَان، وكذلك قبيلة خثعم، ومعهما أيضًا قبيلة قريش. ومن خلال مقابلة نسب شَهْرَان وقريش يتبين لنا أن (خثعم) كان ظهورها في حدود القرن الأول للميلاد، وأن شَهْرَان يكون ظهورها في نهاية القرن الثاني للميلاد، بينما كان ظهور قبيلة قريش في منتصف القرن الثالث للميلاد.

---

(١) السهيلي، الروض الأُنْف، ج ١، ص ٢٧٠؛ البكري، المسالك والمالك، تحقيق أديان ليوفن، تونس، ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٦٦ يقول: سار أبرهة إلى مكة لخراب الكعبة لأربعين سنة خلت من ملك (انوشروان) ثم يقول: كان قدوم أصحاب الفيل لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنين وثلاثين للإسكندر وأظنه وهم بكلامه وثلاثين والصحيح هو وثمانين ليتطابق مع قوله الأول في تاريخ انوشروان.

(٢) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٣٣١، يقول: ما بين مولد عيسى عليه السلام وقيام الإسكندر ثلاثمائة سنة وثلاث سنين، والصحيح ما ذكرناه وهو ثلاثمائة وثلاثين سنة/ مات الإسكندر في اليوم الحادي عشر في السنة الثالثة والثلاثين من عمره وذلك سنة ٣٢٣ ق.م. ولديورانت، قصة احضارة، ترجمة/محمد بدران، جامعة الدول العربية، مصر، ج ٧، ص ٥٣٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٠٧-٢٠٨، وكذلك السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٠٢ وقيل أيضًا: أن النبي (ص) ولد بعد الفيل بعشر سنين وقيل بثلاثين سنة وقيل بأربعين سنة والقول الأخير غريب جدا إلا أن القول الغريب والمنكر والضعيف الذي ذكر فيه أن مولد النبي كان قبل عام الفيل بخمسة عشر سنة.

قحطان	٢٠٠-٢٥٠ ق. م
يعرب	
يشجب	
سبأ	
كهلان	١٥٠ ق. م
زيد	
مالك	عدنان
نبت	١٠٠ - ٥٠ ق. م
الغوٲ	
عمرو	
اراش	
أنمار	
خشم	٥٠ ق. م
حلف	
عفرس	
ناهس	
ربيعة	
شهران	
كود	
أكلب	٢٥٠ م
ربيعة	
الحارث	
وهب	
مالك	
قهر	
غالب	
لؤي	
كعب	
مرة	



كلاب  
قصي  
عبد مناف  
هاشم  
عبد المطلب

عامر  
جزئ  
عبد الله

متعاصران سنة ٥٢٢ م ، حملة  
الفيل حسب النقوش وحسب ما  
ورد في الروايات العربية

(( نسب عدنان ))

(( نسب قحطان ))

## ٢- حروب شَهْرَانَ الْعَرِيضَةِ مَعَ هَمْدَانَ:

سبق أن تعرّفنا إلى أنّ قبيلة همدان كانت قد خاضت حرباً مع قبيلة خثعم،  
وأنها قد انتصرت عليها؛ حيث ذكر أحد شعراء همدان وفرسانها، وهو مالك بن  
حريم بن مالك بن دالان بن سابقة بن ناشج بن دافع بن مالك بن جشم بن  
حاشد الشاعر، الذي قال:

متى تجمع القلبَ الذكي وصارماً  
وأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمِظَالُ<sup>(١)</sup>

أما عن شعره حول قتالهم لخثعم فقد قال<sup>(٢)</sup>:

وَحِيٌّ زَيْدٍ يَوْمَ حَابِسٍ قُتِلُوا  
وَيَوْمَ بَنِي سَعْدِ شَقَيْتُ غَلِيلِي<sup>(٣)</sup>  
وَحِثْعَمَ أَرْوَيْتُ الْقَنَا مِنْ دِمَائِهَا  
بِشَقَّانَ حَتَّى سَالَ كُلُّ مَسِيلٍ<sup>(٤)</sup>

(١) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩٥.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٨٥.

(٣) حابِس : موضع قريب من الكلاب / البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤١٦.

(٤) شَقَّان : لم نجد له ذكر عند البكري ولا الحموي في معجميهما.

وهناك شاعر شهراي خثعمي هو عثعث<sup>(١)</sup> بن وحشي بن عبد الله بن نضلة بن قحافة الشهران الخثعمي، كان أحد الرؤساء في الجاهلية<sup>(٢)</sup>.  
ذكر هذا الشاعر أنه قد هَزَمَ هَمْدان ومذحج في إحدى المعارك بينهما، وله شعر يقول فيه<sup>(٣)</sup>:

وَجُرْثُومَةٌ لَمْ يَدْخُلِ الدُّلُّ وَسَطَهَا      قَرِيبَةٌ أَنْسَابٍ كَثِيرٍ عَدِيدُهَا

مُلَمَّمَةٌ فِيهَا فَوَارِسُ عَثْعَثٍ      بَنُوهُ وَأَبْنَاؤُ الْأَقْيَصِرِ جَيِّدُهَا

وأبناء الأقيصر هم من قوم عثعث؛ إذ إن الأقيصر هو ابن مالك بن قحافة بن عامر. وبنو قحافة هم قبائل معروفة من شَهْران وجدهم الأعلى واهب بن شهران بن عفرس وهم لشهران كالبدر على سائر النجوم<sup>(٤)</sup>.

### ٣- حروب شَهْران العريضة مع قبيلة الأزد:

تركزت علاقة شَهْران مع بني سلامان بن مفرج بن مالك بن زهران بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد<sup>(٥)</sup>، وهم بطن من الأزد معروف<sup>(٦)</sup> من خلال شخصية حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان<sup>(٧)</sup>، التي طغت عليها سمة الغزو والقتال،

(١) عَثْعَثُ: بالفتح والسكون ويعني باللغة: الكتيب السهل والعثعث من الرمال، يقال: كتيب عثعث: إذا كان يشق على الماشي فيه والعثعث الشدائد لقول الإمام علي: ذلك زمان العثاث أي الشدائد / ابن دريد، الاشتقاق، ص ٥٢٣ / الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٩ / ابن منظور، لسان العرب (عثعث).

(٢) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٥٢٣.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٥٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٥٤ / ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٣٩١.

(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٢٧٦ و ٣٨٦ / الأصفهاني، الأغاني، ج ٣، ص ١٤٧ توهم فجعله من بني ميرعان بن مالك بن نصر.

(٦) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٣٥ إلا أنه في ص ٥١٤ يذكر أن حاجز بن عوف من بني مفرج وهو أحد العدائين.

القلقشندي، نهایة الإرب، ص ٣٧٩ يقول بنو مفرج بطن من شنوءة من الأزد.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٤٧.

تبدأ هذه العلاقة بأن عوفًا سأل ابنه حاجزًا: "أخبرني يا بني بأشدِّ عدوك. قال: نعم، أفزعني خثعم [ويقصد بها: (شَهْران)؛ لأنَّ معظم علاقاته مع بني الفرع وأكُلب الشهرانيين] فنزوت نزوات، ثم استفتزني الخيل واصطف لي ظبيان، فجعلت أُنهما<sup>(١)</sup> بيدي عن الطريق، ومنعاني أن أتجاوزها في العدو لضيق الطريق، حتى اتسع واتسعت بنا فسبقتهما"<sup>(٢)</sup>.

ومن أخبار حاجز مع خثعم أنه جمع أناسًا من قبيلة فُهَم وعدوان<sup>(٣)</sup>، فدَهَم على خثعم فأصابوا وغنموا ما شاءوا، فبلغ حاجزًا أنهم يتوعدونه ويرصدونه، فقال في ذلك شعرًا يفتخر بما قام به ضد شهران الخثعمية<sup>(٤)</sup>، من ذلك قوله:

وَأِنِّي مِنْ إِزْعَادِكُمْ وَبِرُوقِكُمْ	وَابْعَادِكُمْ بِالْقَتْلِ صُمٌّ مَسَامِعِي
وَإِنِّي دَلِيلٌ غَيْرُ مَخْفٍ دَلَالَتِي	عَلَى أَلْفِ بَيْتٍ جَدُّهُمْ غَيْرُ خَاشِعِ
تَرَى الْبَيْضَ يَرْكُضُنُ الْجَاسِدَ بِالضُّحَى	كَذَا كُلِّ مَشْبُوحِ الذَّرَاعِينَ نَازِعِ
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ	تَشِيرُونَ نَحْوِي نَحْوَكُمْ بِالْأَصَابِعِ

ومقابل غارات حاجز على شَهْران وخثعم فإن الأخيرين بادرا بالإغارة على قوم حاجز وهم بنو سلامان، وكان مع الشهرانيين الفارس المشهور عمرو بن معد يكرب الزبيدي<sup>(٥)</sup> فالتقوا واقتتلوا، فطعن عمرو بن معد يكرب حاجزًا في فخذه فصاح حاجز: يا آل الأزدي، وكان ممن شارك في هذا القتال عُزَيْل الخثعمي وقد قال شعرًا يذكر فيه طعنة عمرو لحاجز:

أَعَجَزَ حَاجِزٌ مِنَّا وَفِيهِ      مشلشلة كحاشية الإزار<sup>(٦)</sup>

(١) أنهما: أَرَدَهما بيدي لأفْسَحَ المجال لي لاجتازهما.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٤٧.

(٣) بنو فُهَم وبنو عدوان ولدي عمرو بن قيس عيلان بن مضر. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٢٤٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٤٩.

(٥) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٤١١ يقول انه فارس العرب، أدرك الإسلام وشهد القادسية ومات على فراشه من حياة لسعته.

(٦) مشلشلة: ضربة تنفض دماء أي أنها تنزف غير منقطعة.

فَعَزَّ عَلَيَّ مَا أَعْجَزَتْ مِنِّي      وقد أقسمت لا يَضُرُّنِكَ ضَارٌ  
وقد أجابه حاجز شعراً يعدد فيه مفاخر قومه وأيامهم وحروبهم ضد القبائل  
وانتصاراتهم عليها<sup>(١)</sup>.

كانت شَهْرَانُ الخثعمية تترصد حاجزاً، وفي إحدى غزواته لم يشعر إلا وقد  
أحاطت به شهران الخثعمية، وكان معه ابن أخيه واسمه (بشير) فقال له حاجز:  
"يا بشير، ما تشير؟ قال: دعهم حتى يشربوا (يبدو أنهم كانوا على ماء) ويقفلوا  
ويمضوا ونمضي معهم فيظنوننا بعضهم، ففعلا. وكانت في ساق حاجز شامة،  
ف نظرت إليها امرأة خثعمية (ويبدو أنها تعرفه من كثرة غاراته عليهم) فصاحت: يا  
آل خثعم، هذا حاجز. فطاروا يتبعونه، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة: أكفيكم  
سلاحه أو عدوه؟ فقالوا: لا نريد أن تكفيننا عدوه؛ فإن معنا عوقاً وهو يعدو  
مثله، ولكن أكفينا سلاحه. فسحرت لهم سلاحه، وتبعه عوف بن الاغر بن همام  
بن الأسر بن عبد الحارث بن واهب بن مالك بن صعب بن غنم بن الفرع  
الشهراني الخثعمي، حتى قاربه، فصاحت به خثعم: يا عوف، ازم حاجزاً، فلم  
يقدم عليه، فغضبوا وصاحوا: يا حاجز، لك الدمام، فاقتل عوقاً فإنه قد فضحنا.  
فنزع في قوسه ليرميه، فانقطع وثرؤه؛ لأن المرأة الخثعمية كانت قد سحرت سلاحه،  
فأخذ قوس بشير ابن أخيه فنزع فيها فانكسرت، وهربا من القوم ففاتاهم، ووجد  
حاجز بعيداً في طريقه فركبه، فلم يسر في الطريق الذي يريد ونحا به نحو خثعم،  
فنزل حاجز عنه فمرّ فنجا"<sup>(٢)</sup>.

ثم إنَّ حاجزاً عاود الكرّة على شهران، إلا أنه هذه المرّة كان قد فرّ منهم  
فتبعه المرقع الأكلبي الخثعمي ولكنه لم يلحق بحاجز؛ إذ إنه فاته. وقال في ذلك  
شعراً ذكر فيه بني أكلب الخثعمي<sup>(٣)</sup>

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٤٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٥٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٥٢.

وكأَنَّمَا تَبَعَ الْفَوَارِسُ أَرْبَابًا  
 وكأَنَّمَا طَرَدُوا بَدِي نَمْرَاتِهِ  
 أو ظَبْيِي رَابِيَةً خُفَافًا أَشْعَبًا<sup>(١)</sup>  
 صَدَعًا مِنَ الْأَرْوَى أَحْسَسَ مَكْلَبًا<sup>(٢)</sup>  
 وأعجَزْتُ مِنْهُمْ وَالْأَكْفُفُ تَنَالِي  
 ومضت حياضُهم وآبوا خُبْيَا  
 أدعو شَنْوَةَ غَثَّهَا وَسَمِينَهَا  
 ودعا المَرْقَعُ يَوْمَ ذَلِكَ أَكْلَبًا<sup>(٣)</sup>

عادت قبيلة شَهْرَانَ العَرِيضَةَ وختعم غاراتهما على بني سلامان بن مفرج في الأزد، وهم قوم حاجز بن عوف وكان معهم من قبائل العرب الأخرى بنو زُبَيْد ومدحج وبني صحار وهما بنو نهد بن زيد القضاعي وبني أجرم بن زيد القضاعي ويقال لهما (ابنا صحار) ودارت الحرب بين الطرفين سجَّلهما حاجز في هذه المعركة شعراً بقوله:

فجاءت ختعمُ وبنو زُبَيْدٍ  
 ومذحجُ كلُّها وأبنا صُحارِ  
 فلم نشعر بهم حتى أناخوا  
 كأنهم ربيعةٌ في الجمارِ<sup>(٤)</sup>

### العلاقة سابقاً لشهران مع بني سامة الأزدية

وأشار الهمداني إلى وجود علاقة ودّية بين بني سامة من الأزد وشَهْرَانَ العَرِيضَةَ، دون أن يحدد أحداً من شَهْرَانَ. قال: "تَنَدَحَةُ وهي العين من أودية جَرَشٍ وفيها أعناب وآبار، وساكنه بنو سامة من الأزد، ورأيتُ بعضهم ينجذب إلى شَهْرَانَ العَرِيضَةَ"<sup>(٥)</sup>. ولم يوضح لنا شيئاً عن هذا الانجذاب، ولكن بني سامة الآن أحد البطون الكبيرة في شَهْرَانَ العَرِيضَةَ، إلا أنَّ تَنَدَحَةَ يسكنها قبيلة كود، وهم الأكثر حالياً، والآن بنو سامة بطن من بطون شهران وكذلك قبائل أخرى

(١) الظبي الأشعب : البعيد ما بين القرنين.

(٢) الصدع : الوعل القوي، الأروى أنثى الوعل.

(٣) شَنْوَةَ : من الأزد قوم حاجز، أكلب من شَهْرَانَ قوم المَرْقَع.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٣١ .

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٣٠ .

من شهران وغيرها مثل قبيلة آل المستنير من ربيعة قحطان وفيهم حمد المستنيري شاعر وصاحب متحف كبير في المنطقة الجنوبية ولي علاقة ود معه وهو من الرجال المعروفين في المنطقة وغيرها.

كما التقطنا إشارة مهمة؛ وهي وجود مصاهرة ما بين قبيلة شَهْران العريضة وقبيلة خزاعة الأزدية؛ فقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل أن سليمان بن بشر الخزاعي كان قد حدّث عن خاله مالك بن عبد الله بن سنان الشهراني (مالك السرايا)، أي: إن بشرًا الخزاعي الأزدي تزوج من أخت مالك الشهرانية<sup>(١)</sup>.

#### ٤- حروب شهران العريضة مع قبيلة بني زُييد:

قبيلة زُييد هي إحدى القبائل اليمانية ونسبها إلى مُنَبّه وهو زُييد بن صعْب بن سعد العشيرة بن مذحج<sup>(٢)</sup> بن أَدُد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان<sup>(٣)</sup> وعلى هذا النسب فإنهم وشهران خثعم يلتقون في زيد بن كهلان، وروي أن خثعمًا كانت تريد غزو بني زُييد فتأهبت زُييد لهم، فهاجمت خثعم قبيلة زُييد صباحًا واقتتلوا، ثم إنَّ زُييدًا قد انهزمت إلا أن عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عُصم بن عمرو بن زُييد وكان آنذاك يسمى (مائق بني زُييد)<sup>(٤)</sup> قد أظهر بطولةً وشجاعةً فائقة؛ حيث اقتحم بفرسه صفوف خثعم وشهران، وفعل ذلك مرارًا. فلما رأت قبيلته فعاله عادت

(١) ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد الشيباني (ت ٢٤١ هـ). مسند أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت (بلا. ت)، ج٧، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٢) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٤١، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤١٠-٤١١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ١٤٠.

(٤) مائق: المائق الهالك حمًا وغباوةً، والموق: حمقٌ في غباوةٍ، والمائق السبيء الخلق / ابن منظور، لسان العرب، مادة ( موق ) .

إلى القتال وحملت حملةً قويةً على خثعم وشهران، فقيل لعمرو بن معد يكرب يومئذ (فارس زُيُيد) <sup>(١)</sup>.

وإذا كانت هذه العلاقة غير ودية في هذه الحادثة؛ فإننا قد رأينا لها وجهًا آخر في وقت آخر، فقد ساهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي مع قبيلة خثعم وشهران عندما استنجدوا به للإغارة على بني سلامان من قبيلة الأزد، وعندما التقوا واقتتلوا طعن عمرو بن معد يكرب شاعر بني سلامان حاجز بن عوف بن الحارث، وكانت الطعنة قوية حيث نفذت في فخذ حاجز بن عوف الذي صرخ من ألمها لشدها <sup>(٢)</sup>. هذا فضلاً عما ذكرناه سابقاً من مشاركة بني زُيُيد مع شَهْران شَهْران وناهس في يوم فَيْفُ الرِّيح ضد قبائل بني عامر بن صَعَصَعَة <sup>(٣)</sup>.

## ٥- حروب شَهْران العَرِيضَة مع بني الحارث بن كعب:

سبق وأن تحدثنا عن موقف شَهْران العَرِيضَة من بني الحارث بن كعب عند الحديث عن يوم (فَيْفُ الرِّيح)، وأن شَهْران العَرِيضَة كانت مع بني الحارث بن كعب في ذلك اليوم ضد بني عامر بن صَعَصَعَة، وأن قبيلتي خثعم (شَهْران وناهس) كانوا هم وبنو الحارث بن كعب على مياه واحدة وفي مراعٍ واحدة، وكانت علاقاتهم طيبة وإيجابية <sup>(٤)</sup> في معظم الأوقات.

إنَّ العلاقات بين القبائل العربية لا تدم على حال واحدة وهي إما علاقة ود أو حروب؛ إذ سرعان ما تتبدل لأي سبب من الأسباب، فنجد أن قوم أنس بن مدرك بن كعب، وهم من أكلب بن ربيعة بن عفرس الخثعمي كانوا مجاورين لبني الحارث بن كعب، فوجدوا منهم جفاءً وغلظة، فأرادوا أن يفارقوهم، فقال لهم

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣، ص ١٤٩.

(٣) ينظر: شَهْران ويوم فَيْفُ الرِّيح في الصفحات السابقة.

(٤) البجاوي وزملاؤه، أيام العرب في الجاهلية، ص ١٣٣.

أنس بن مدرك: أقيموا إلى الصباح. ثم إنه ورئيس آخر من قومه غزوا بني الحارث متساندين، فلما قربا من القوم أمسيا، فباتا حيث جَنَّ عليهم الليل، فقام صاحبه فانصرف ولم يَعْنَم، وأقام أنس حتى أصبح الصباح فشَنَّ عليهم الخيل، فأصاب منهم وغنم هو وأصحابه فقال عند ذلك:

دَعَوْتُ بني قُحَافَةَ<sup>(١)</sup> فاستجابوا  
فَقُلْتُ: رِدُوا فَقَدْ طَابَ الرُّوْدُ  
دَعَوْتُ إلى المِصَاعِ فجَاوَبُونِي  
بِوَرْدٍ مَا يُنْهِنُهُ المِذِيدُ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّ عَمَامَةً بَرَقَتْ عَلَيْهِم  
من الأَصْيَافِ نرجسُهَا الرُّعُودُ  
عزمتُ على إقامَةِ ذِي صَبَاحٍ  
لأمرٍ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يَسُودُ<sup>(٣)</sup>  
وقد جرت وقائع هذه الحادثة بعد انتهاء يوم فيف الرياح.

## ٦- علاقة شَهْرَانَ العَرِيضَةِ مع يَرْسُم:

ذكر الهمداني أن قبيلة يَرْسُم بن كثير هي جَمَاعٌ عدة قبائل كحلف تنوخ، وأنها تضم ثلاثة عشر بيتًا تَرَسَمَت على يَرْسُم ابن كثير وعلى يَرْسُم الأولى. ويَرْسُم أصلها ثلاثة أبيات: العميرات من ولدٍ مَرَّ ذِي سخيم، وبيتان آخران من يَرْسُم القديمة من حمير. وفي يَرْسُم بيت من آل ذواد من الأبناء، وبيت من همدان من حاشد، وبيت من آل خَوْلِي بفتح الخاء وتسكين الواو وكسر اللام، وبيت بني هلال، وبيت من قحافة من خثعم، وبيت من عوير<sup>(٤)</sup>. وبنو قحافة هم من أبرز البطون في قبيلة شَهْرَانَ العَرِيضَةِ، وقد مَرَّ ذكرهم فيما مضى.

(١) بني قحافة، أكبر بطون قبائل شهران العريضة مناقبا عليا وأكثرهم صحابيون وصحائيات .

(٢) جاء في بعض الروايات (إلى الصباح) بدلاً إلى المصاع، والمصاع: مصدر ماصع : أي قاتل، والمصغ : الضرب بالسيف.

(٣) البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق/عبد السلام هارون ، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة،

١٩٨٦م، ج ٣ . ص ٨٦-٨٩.

(٤) الهمداني، الإكليل، بغداد، ١٩٧٧م، ج ١، ص ٢٦٣ .



ويبدو لنا أن منازل يَرْسُم قريبة من منازل شَهْرَان، وربما كانت متداخلة فيما بينها؛ إذ إن مساكن يَرْسُم في صَعْدَة، وتشاركهم فيها عدة قبائل من الكلاع ومن همدان ومن حولان وبيت من الأبناء<sup>(١)</sup>. ولا نعلم السبب في دخول هذا البيت من شَهْرَان العَرِيضَة في هذا التحالف القبلي الذي أصبح يُعْرَف باسم (يَرْسُم). وأشار أحد الباحثين إلى أن (يَرْسُم) عدة قبائل سبئية تقيم اليوم في صعدة باليمن<sup>(٢)</sup>.

المبحث السادس : ديانة قبيلة " شهران العريضة الخثعمية " قبل الإسلام .

## ١ - عبادة الأصنام:

كانت العرب في الجاهلية قد اتخذت مع الكعبة أصنامًا، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنةٌ وحُجَّاب، وتُهدى لها كما تُهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بالكعبة، وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده، كما اتخذ أهل كل دار صنمًا يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تَمَسَّحَ به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفر، وإذا قدم من سفره تَمَسَّحَ به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله<sup>(٣)</sup>.

إن شَهْرَان الخثعمية<sup>(٤)</sup> كان لهم صنمٌ يعبدونه، يسمى: (ذا الحُلُصَة) بفتح أوله وثانيه<sup>(٥)</sup>، ومعهم دوس وبجيلة ومَنْ كان ببلادهم من العرب بتبالة<sup>(١)</sup>. وكانت

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٤، ص ٢٣٧ و ص ٣٦٨، ذكر فيها الهمداني منازل آل يَرْسُم ومن معها من القبائل .

(٢) الوائلي، عبد الحكيم، موسوعة قبائل العرب، منشورات دار أسامة، الأردن، عمان، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١١٨ .

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٩ .

(٥) ويقال: ذو الحُلُصَة بضم أوله وثانيه، والأول أصح، والحُلُصَة في اللغة: نبت طيب الريح يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب وجمع الحُلُصَة: حُلُصٌ.

(ذو الخَلْصَة) يقال لها: (الكعبة اليمانية)، يضاهاون بها الكعبة التي بمكة، ويقولون لها: (الكعبة الشامية) <sup>(١)</sup>.

قال ابن حبيب <sup>(٢)</sup>: كان ذو الخَلْصَة بيتًا تعبده خثعم وبجيلة والحارث بن كعب وزُيَيد والغوث بن مُرة بن أد وبنو هلال بن عامر وهم سدنته، ويقع بين مكة واليمن بالعبلاء على أربع مراحل من مكة . أما الهمداني فقال: ذو الخَلْصَة بناحية تبالة <sup>(٤)</sup>، وكان كل من يَحُجُّ ذا الخَلْصَة يهدي له هديًا يتحرم به ممن لقيه <sup>(٥)</sup>.  
أما ابن الكلبي <sup>(٦)</sup> فقال: ومن أصنام العرب ذو الخَلْصَة، وكانت مروة بيضاء منقوشة عليها كهية التاج، وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسير سبع ليال من مكة، وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر، وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ودوس من زهران، وفيها يقول خدّاش بن زهير العامري لعنعث بن وحشي الخثعمي الشهراني في عهدٍ كان بينهما فغدر به:

وَدَكَّرْتُهُ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      وَمَا بَيْنَنَا مِنْ مُدَّةٍ لَوْ تَذَكَّرَا  
وَبِالْمَرْوَةِ الْبَيْضَاءِ ثُمَّ تَبَالَه      وَجَلَسِ التَّعْمَانِ حَيْثُ تَنَصَّرَا

وفي هذين البيتين دليلٌ على أنَّ شَهْرَانَ كانت تعبد ذا الخَلْصَة مثل بقية القبائل المجاورة، ويؤكد هذا الأمر أن جرير بن عبد الله البجلي قَاتَلَ خَثْعَمًا عِنْدَمَا دافعت عن ذي الخَلْصَة، فقتل مئتين من بني قحافة بن عامر الشهرانيين، بعد أن ظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذي الخَلْصَة وأضرم فيه النار فاحترق، فقالت امرأة من خثعم:

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٢١. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ٨٣. البغدادي، خزنة الأدب، ج ١، ص ١٩٤.

(٣) ابن حبيب، المحبر، أعتنت به أيلزه ليختن شتير، بيروت، ١٩٤٢م، ص ٣١٧.

(٤) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٠.

(٥) البغدادي، خزنة الأدب، ج ١، ص ١٩٣.

(٦) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٣٤. البغدادي، خزنة الأدب، ج ١، ص ١٩٤-١٩٥.

وبنو أمانة بالولية صرعوا

شَمَلًا يعالج كلهم أنبوباً<sup>(١)</sup>

جاؤوا لبيضتهم فلاقوا دونها

أسداً تقبُّ لدى السيوف قبيبا

قسَم المذلة بين نسوة خثعم

فتيان أحمسَ قسمةً تشعيباً<sup>(٢)</sup>

أما الأزرقى فقال: نَصَب عمرو بن لُحَيِّ الخَلْصَةَ بأسفل مكة، فكانوا يلبسونها القلائد، ويهدون إليها الشعير والحنطة، ويصبون عليها اللبن، ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض النَّعام<sup>(٣)</sup>.

وذكر الحموي أن الخَلْصَةَ من قرى مكة بوادي مَرِّ الظهران<sup>(٤)</sup>، وأنَّ أسفل مكة - يعني: شمالها- وأن مَرِّ الظهران يقع شمال مكة أيضاً؛ وعليه فإن هناك موقعين لذي الخَلْصَةَ: الأول شمال مكة باتجاه الشام، والثاني جنوب مكة باتجاه اليمن . وهذا يجعلنا نعتقد بوجود صنمين بنفس الاسم . وذكر ابن دريد : أنَّ ذا الخَلْصَةَ بيت صنم في ديار دوس، وهو اسم صنم لا اسم بَيْتِيَّة<sup>(٥)</sup>.

إنَّ الذي يعنينا هو ما تعبد به شهران الخثعمية، ونقصد بذلك (ذا الخَلْصَةَ) التي تقع بتبالة التي دافع عنها القحافيون الشهرانيون في قتالهم لجرير بن عبد الله البجلي وقد قتل منهم مائتا خيال ، كما أسلفنا سابقاً. وقد جاء في الحديث النبوي: أنَّ ذا الخَلْصَةَ سيعبد آخر الزمان، وأنه لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخَلْصَةَ<sup>(٦)</sup>.

(١) وردت (شَمَلًا) بدلاً من (شَمَلًا) في بعض الروايات.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٣) الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ٩٣-٩٤. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٥) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٦) أنظر الحديث في الدرر المنتور للسيوطي ٤٧٧/٧ وفيه : أخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة " وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونه في الجاهلية شرح العمدة ٤/٤٩٤ .

والمعنى: إنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخَلَصَة، فترتج أعجازهن<sup>(١)</sup>.  
ونفهم من هذا أنّ دوسًا كانت لهم كعبة ذي الخَلَصَة، يطوفون حولها وفي جوفها صنم الخَلَصَة<sup>(٢)</sup>، وهو غير ذي الخَلَصَة التي بتبالة لختعم ومن معها من قبائل العرب.

## ٢- الديانة النصرانية :

كان لشهران الخنعمية مكان عبادة لهم يسمى (دير نجران)، وهو المسمى أيضًا (كعبة نجران)<sup>(٣)</sup>، والقائمون عليه هم آل عبد المدان بن الديان سادة بني الحارث بن كعب، وقد بنّوه على شكل مربع مستوي الأضلاع والأقطار، مرتفع عن الأرض، يُصعدُ إليه بدرجة على مثال الكعبة، فكانوا يحجونه هم وطوائف من العرب ممن يحلّ الأشهر الحرم، ولا يحجون الكعبة، وتحمجه خنعم.  
وقد بنّوه في موضعٍ نزهٍ كثير الشجر والرياض والغدران، وجعل في حيطان الدير الفسيفساء، وفي السقف الذهب والصور. وكان بنو الحارث بن كعب يركبون إلى الدير كل يوم أحد وفي أيام أعيادهم، في الديق المذهب والزناير المحلاة بالذهب. ثم ينصرفون بعد قضاء صلاتهم إلى نزههم، ويقصدهم الشعراء والوفود<sup>(٤)</sup>.

وفي كعبة نجران قال أعشى<sup>(٥)</sup> بن قيس بن ثعلبة<sup>(١)</sup>:

(١) الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٤؛ ابن منظور، لسان العرب (خلص)

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٦م - عشرة مجلدات، ج ٦، ٢٧١.

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٠ م البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٠٣. الأصفهاني، الأغاني، ج

١٢، ص ٧ يذكر بدل الكعبة، أنها قبة من الأدم من ثلاثمائة جلد تقع على نهر بنجران يقال له النُحَيْرِدان.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٠٢. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٥.

(٥) هو: مبخوت بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكامة بن

صعب بن علي بن بكر بن وائل بن تاسط بن هنب بن أفص بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، يكنى أبا

وَكَعْبَةُ بَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْ— كَ حَتَّى تُنَاجِي بَابُهَا  
 نَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ وَقَيْسًا هُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا الْحَبْرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَايِهَا  
 لَهُمْ مَشْرِبَاتٌ لَهَا بَهَجَةٌ تَرُوقُ الْعُيُونُ بِتَعَجَّاجِهَا<sup>(٣)</sup>  
 وَشَاهِدُنَا الْجُلُّ وَالْيَاسِمِيُّ— سُنُّ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَايِهَا<sup>(٤)</sup>  
 وَبَرَبْنُونا دَائِمٌ مُعْمَلٌ فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرْزَى بِهَا  
 تُنَازِعَنِي إِذْ خَلَّتْ بُرْدَهَا مُعْطَّرَةٌ غَيْرَ جِلْبَابِهَا  
 فَلَمَّا التَّقَيْنَا عَلَى آلِهِ— وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

ويُستخلص من الأخبار الواردة عن هذه الكعبة ومن أسماء أصحابها وكونهم أساقفة أنها كانت بيعة أسسها النصارى في مركز النصرانية في اليمن وهو موضع بجران، وأنه لا علاقة له بالوثنية.

ويذكر الإخباريون أنَّ بني عبد المدان بن الديان الحارثي أقاموها هناك مضاهاة للكعبة<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر ابن الكلبي: أن كعبة بجران لم تكن كعبة عبادة، وإنما كانت غرفة يعظمها القوم من بني الحارث بن كعب<sup>(١)</sup>، وهم رؤساء نصارى بجران<sup>(٢)</sup>.

بصير، ولد باليمامة في قرية تدعى منفوحة. انظر: ديوان الأعشى الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩ م. والأصفهاني، الأغاني، ج ٩، ص ٨٠.

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٦٠٤. ذكر الأبيات الثلاثة الأولى. الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ٢١٠. الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٥.

(٢) هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم الأعشى في هذا البيت هم أساقفة بجران وكان يزورهم ويمدحهم. الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ٢١١.

(٣) ديوان الأعشى الكبير، ص ٧٠.

(٤) الجُلُّ: الورد أبيضه وأحمره وأصفره واحده جُلَّة، المسمعات: القيان أو المغنيات، القصاب: المزمار مفردها قصابة وقيل هي الأوتار في العود.

(٥) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٤١٧.

من خلال ما تقدم يظهر لنا أن خثعم كانت تحجُّ كعبة نجران، ولكن ليس هناك ما يبين لنا أنَّ شهران الخثعمية كانوا على دين النصرانية، ولربما كانوا يكتفون بالحج والطواف بهذه الكعبة التي يتولى شؤونها بنو عبد المدان ابن الديان وأساقفة نجران النصارى؛ إذ لو كان الخثعميون قد تنصَّروا لكان لهم ذكر في وفد نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ للمباهلة<sup>(٣)</sup>.

### ٣- التَّحَنُّفُ وَالكَهَانَةُ:

تحدثنا عن ديانة شَهْران الخثعمية الوثنية هي ديانات لأغلب القبائل العربية في الجاهلية، فضلاً عما ذكرناه من أمر النصرانية، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود من لا يعبد الأوثان والأصنام، ولم يعتقد بالنصرانية في شَهْران الخثعمية. فقد ذكرت لنا المصادر؛ أنَّ نُفَيْل بن حبيب الخثعمي قد تعرَّض لما قام به أبرهة الحبشي من بناء الكنيسة التي تعرف باسم (الْقُلَيْس) في اليمن؛ إذ كان نُفَيْل بن حبيب يؤرض له ما يكره ومن كان معه، وفي إحدى الليالي قام نُفَيْل ومن معه فجاء بعدرة، فلطخ بها قبلة الكنيسة القُلَيْس، وجمع جيفاً فألقاها في الكنيسة<sup>(٤)</sup>. وكان هذا العمل من وجهة نظر نفيل هو انتصار لبيت الله الحرام والكعبة المقدسة. ولم يكتف بهذا الأمر، بل إنه قاتل أبرهة وجيشه عندما توجه لهدم الكعبة<sup>(٥)</sup>، وعلى الرغم من عدم تمكنه من فعل شيء أو ردِّ أبرهة؛ إلا أنه انتصر لمعتقداته ومقدساته ومع أنه كان أمام قوة أكبر منه ولكن ذلك لم يمنعه من التصدي للعدو.

تتضح لنا معتقدات نُفَيْل بن حبيب الدينية من خلال مواقفه عندما تقدم جيش أبرهة لهدم الكعبة؛ فنرى أنه توجه نحو الفيل (محمود)، فأخذ بأذنه وهمس

(١) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٤٥.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٤١٧.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٨٧.

(٤) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٤١.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٣٨.

فيها قائلاً: أبرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت؛ فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه.... وخرج نُفيل<sup>(١)</sup>.

إن ما قاله نُفيل في أذن الفيل يدلّ على أنه لم يكن من عباد الأوثان، بل ممن يعتقدون بالله وأنّ هذا البيت هو بيت الله، وهو سبحانه الذي سيحميه ويمنع الأعداء من هدمه وخرابه. ثم يزداد الأمر وضوحاً بعد ما رأى ما أنزل الله بأبرهة وجيشه من عذاب، فقال نُفيل معبراً عن معتقده:

أين المفترُّ والإله الطالبُ والأشرم المغلوب لَيْسَ الغالبُ<sup>(٢)</sup>

يبدو لنا أنّ نفيلاً قد ارتاح لما أنزل الله بأبرهة وجيشه من عقاب لهم لاعتدائهم على بيته المحرم، وقد عبّر عن هذا الارتياح بالشكر والحمد لله على ما

أنعم عليهم، وكل هذا يدل على أنّه يعتقد بالله؛ فقد قال<sup>(٣)</sup>:

حمدتُ الله إذ عاينتُ طيراً وخفتُ حجارةً تُلقى علينا

فكلُّ القومِ يسألُ عن نُفيلٍ كأنّ عليّ للحبشان دينا

كذلك وردت عدة روايات عن وجود امرأة شهرانية خثعمية يقال لها: فاطمة بنت مُرّ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن، فضلاً عن كونها كاهنة مشهورة من أهل تباله، وقد قرأت من الكتب، وكان شباب قريش يذهبون فيتحدثون إليها، وهذا يعني أنّها كانت تنزل مكة أو قريئاً منها<sup>(٤)</sup>. ولما خرج عبد المطلب جدّ الرسول ﷺ بابنه عبد الله ليزوجه كان طريقه على هذه الكاهنة، وعندما مرّ بها

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٧٧-٧٨؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٨٨؛ بامطرف، الجامع، جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، ط ١، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص ٤٣٧. وينظر أيضاً: روايات أخرى: ابن هشام السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٢. الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٠٥. البغدادي، خزنة الأدب، ج ١، ص ٨٨.

وشاهدت عبد الله بن عبد المطلب رأت في وجهه نور، فقالت له: يا فتى هل لك أن تتزوجني الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال:

أَمَّا الْحَرَامُ فَلِمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلَّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ  
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضة ودينه  
ثم قال أيضًا: إني مع أبي، ولا أقدر أن أفارقه.

ثم مرَّ عليها، بعد أن تزوج آمنة بنت وهب وأقام عندها ثلاثًا. فلم تقل له شيئًا، فقال لها: ما لك لا تعرضين عليّ ما عرضت عليّ بالأمس؟! فقالت: مَنْ أنت؟ قال: أنا فلان. قالت: ما أنت هو، ولئن كنت ذاك لقد رأيتُ بين عينيك نورًا ما أراه الآن، ما صنعتَ بعدي؟ فأخبرها. فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن رأيتُ في وجهك نورًا فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد. اذهب فأخبرها أنها حملت خيرَ أهل الأرض. ثم أنشدت تقول:

إِنِّي رَأَيْتُ مَخِيلَةً لَمَعَتْ فَتَالَأَلَاتِ بَحْنَاتِمِ الْقَطْرِ  
فَلَمَّا إِهَّهَا نُورٌ يُضِيءُ لَهُ مَا حَوْلَهُ كِإِضَاءَةِ الْبَدْرِ  
وَرَجَوْتُهَا فَحَرًّا أَبْوَاءُ بِهِ مَأْكُلٌ قَادِحٍ زَنَادِهِ يُورِي  
لِلَّهِ مَا زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتَ وَمَا تَدْرِي<sup>(١)</sup>  
ثم أنها قالت أيضًا<sup>(٢)</sup>:

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ عَادَرْتِ مِنْ أَحْيِكُمْ أَمِينُهُ إِذْ لِلْبَاهِ يَعْتَلِجَانِ  
كَمَا عَادَرَ الْمَصْبَاحُ بَعْدَ حُبُوهِ فَتَائِلٌ قَدْ مِثَّتْ لَهُ بِدَهَانِ

(١) الشامي، محمد بن يوسف الصالحى، سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: إبراهيم التري وآخرون، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٩٢ - ٣٩٣. وقد ورد بصيغ مختلفة في: ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٧٧؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.  
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٧٨. الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٥٠٦ مع بعض الاختلاف في الكلمات.



وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ      بِحَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِ  
فَأَجْمَلٍ إِذَا طَالَبَتْ أَمْرًا فَإِنَّهُ      سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ يَصْطَرَعَانِ  
سَيَكْفِيكَهُ إِمَّا يَدٌ مَقْفَعَةٌ      وَإِمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بِنَانِ  
وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا قَضَتْ      نَبَا بَصْرِي عَنْهُ وَكَلَّ لِسَانِي

وختلاصة القول: إن فاطمة بنت مَرَّ الشهرانية الخثعمية هي كاهنة وشاعرة من أهل تباله، سكنت مكة<sup>(١)</sup>. وقد قالت كلمة فصارت مثلاً؛ وذلك بعد إعراضها عن عبد الله بن عبد المطلب عندما عاد إليها بعد زواجه من آمنة بنت وهب، فقالت (قد كان ذلك مرّةً فاليوم لا)<sup>(٢)</sup>، وأنّ هذه الكهانة التي عرفتها كانت في حدود المعرفة التي تتجاوز القدرات البشرية الطبيعية، فهي قد قرأت في وجه عبد الله بن عبد المطلب نوراً بين عينيه ساطعاً إلى السماء .

وكان العرب في الجاهلية يعتقدون أنّ لكل كاهن صاحباً من الجن يخبره بما يريد، ويقال له: الرّئي. وكان الكاهن - أيضاً - مستشار القبيلة وحكمها، لا يُردُّ له كلام ولا يُرْفَضُ له طلب، كما كانت للكهان لغة خطابية وشعرية<sup>(٣)</sup>، وهذا ما لمسناه لدى نُفَيْل بن حبيب الشهراني، وكذلك لدى فاطمة بنت مَرَّ الشهرانية الخثعمية.

(١) بامطرف، الجامع، ص ٤٣٧

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٧٧. البلاذري، انساب الأشراف، ج ٢، ص ٨٨. البغدادي، خزائن الأدب، ج

١، ص ٨٨ ذكر المثل ضمن بيت شعري هو : لا تطلبنّ الأمر إلا ميلاً      قد كان ذلك مرّةً فاليوم لا

(٣) فاحوري، حنا، الجامع من تاريخ الأدب العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٢. ولزبد من التفاصيل عن الكهانة والكهان ينظر : علي، جواد، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ٧٥٥ وما بعدها.

وذكر لنا البغدادي: إنّ الأقيصر بن جابر وهو من بني شَهْران كان يتكهن .  
أيضاً . في قومه، وكان ممن يحج إلى الصنم ذي الخَلْصَة<sup>(١)</sup> .

---

(١) البغدادي، خزانة الأدب، ج ١، ص ١٩٣ .